محمد حسين زغلة

حَنِينٌ مَيّتٌ

رواية

رئيس مجلس الإدارة
عاطف الجندي

المدير العام
رضا عبادة

مدير الطبع والنشر
العزب فتحي

الطبعة الأولى

الكتاب (رواية) : حنينٌ ميتٌ

تأليف : محمد حسين زُغلة

التصميم والإخراج الفني : دار الرضا

للطبع والنشر

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٢٠/١٣٨٧٢م

الترقيم الدولي :978-977-843-196-4

٤ شارع مهندس عبدالمنعم – أرض أولاد علام

منطي – شبرا الخيمة – القاهرة الكبرى

ت : ٠١٢٢٢٩٥٠٢٩٢ – ٠١٠١٧٧٥٦٦٧٠

تصميم الغلاف الفنان / محمد مخلوف

مراجعة وتدقيق : مكتب الموهوب " د/ حازم الصبيحي "

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

في الحقيقة.. هذه أول تجربة لي في كتابة الرواية، وما دفعني لكتابة هذه الرواية حينما سمعت البعض يقول مصطلح أو جملة "ولا في الخيال"، كنت أستغرب؛ لأنني كنت أعلم بأن هناك في الواقع قصصًا وحكاياتٍ ما هو أغرب بكثير من الخيال، فشرعت في كتابة أحداث هذه الرواية، التي هي في الحقيقة قد حدثت في الواقع، والتي بسببها أيقنت أن في الواقع يوجد ما هو أغرب من الخيال، خيال كاتب قد ينسج أحداثًا وشخصياتٍ من واقع خياله هو، ولكن تلك الرواية "حنين ميّت" هي في الواقع أحداث حقيقية حدثت كما ذكرت بالفعل، ولكنني عندما كتبتها مزجتها بشيء من الخيال حتى لا تصبح سيرة ذاتية لأشخاص بعينهم، فدائمًا البعض منا قد يحب العودة إلى ماضيه، والبعض الآخر يحب أن يكون حاضره أفضل من ماضيه قد نختلف في وجهات النظر؛ لأن ظروف الحياة مختلفة، وأحيانًا تفاجئنا بما لم نكن نتوقعه، ولكن يجب علينا أن نتأقلم مع الواقع بكل مستجداته.

الشاعر

محمد حسين زُغلة

الفصـــــل الأول

(فلاش باك)

"جلس "ماضي" على الحجر الكبير الموجود تحت شجرة "الفيكس"، التي كان يجلس تحتها هو و "شكرات"، وهما يأكلان ساندويتشات الفول والفلافل قبل أن يذهبا إلى الشركة التي كانا يعملان بها، ثم أغمض عينيه، وكأنه يرى فيلمًا سينيمائيًا يمر أمام عينيه، فيتذكر كل الأحداث التي مرت في الماضي مع "شكرات" منذ أن تعرّف عليها من خلال الجامعة، والعمل معًا كمندوبي مبيعات لإحدى الشركات، وكيف جمع الحب بينهما".

كان "ماضي" يعمل مندوب مبيعات لإحدى شركات الملابس بالقطاع الخاص، والتي تعلن عن منتجاتها من خلال مندوبي المبيعات بالشركة.

في هذه الفترة كان يرتبط بعلاقة غرامية بفتاة اسمها "شكرات"، كانت فتاة جميلة، ممشوقة القوام، ذات عينين ساحرتين وأهداب طويلة، خمرية اللون، متوسطة الطول إلى حد ما وخصرها نحيل.

- طعم الأيام المُرّ حلو بوجودك.
* وماحدّش ممكن يحلّي أيامي غير انت يا ماضي.

- انتِ شِريكة عُمري وشُغلي، انتِ حتى بتشاركي قلبي في النبض اللي بينبض بيه.
* ربنا مايحرمنيش منك يا رب يا حبيبي.

هكذا تذكّر "ماضي" ما كان يدور بينهما في هذا التوقيت.

كانت هذه الفتاة تصغره بسنتين، من أسرة جذورها صعيدية، من -الصعيد الجواني-، كما يقال على بعض من محافظات الصعيد، هذه الفتاة كانت أيضًا خريجة نفس الكلية التي تخرّج

فيها ماضي، وهي كلية التجارة جامعة عين شمس، ولكن بعده بدفعتين.

أما في هذه المرحلة العمرية الأخيرة، -والتي تدور فيها الأحداث الحالية للرواية-، بعد أن تزوّج "ماضي" زواجًا تقليديًا مما يقرب من ستة عشر عامًا مضت من "ميرفت" صديقة أخته الصغرى " أمل "، وأنجب منها بنتان وولد، وكانت أعمارهم:

نور ١٥ سنة - وأحمد ١٣ سنة - وملك ١١ سنة .

فالأبناء جميعًا كانوا في المرحلة الابتدائية والإعدادية بمدرسة خاصة، ونظرًا لأن الزوَاج كان زواجًا تقليديًا كانت الحياة بينهما تسير في منحنى، -صعودًا وهبوطًا- غير مستقر؛ لأن زوجته "ميرفت" كانت دائمًا تريد إبعاده عن أهله، وبالفعل قد نجحت في أن تستأثر به لنفسها بعيدًا عن أهله ومسقط رأسه؛ مما أوجد بينهما الكثير من الخلافات، ووجهات النظر المختلفة، والفتور العاطفي من ناحيته، ومن جهة أخرى كان هناك شبح الماضي الذي كان يطارده، وهو شبح "شكرات" الفتاة الصعيدية التي أحبها في بداية شبابه،

والتي اختفت فيما يقرب من خمسة وعشرين عامًا قد مضت.

فهي كانت في ذلك الوقت تعيش بمنطقة قريبة إلى حد ما من مسقط رأس حبيبها "ماضي"، والتي عشقته بجنون.

_ تفتكر لو كانت "شكرات" اللي مكان مراتك كانت هاتعمل زيها؟

* مش عارف.

_ انت لسّه بتحبها؟

* مش عارف.

_ انت عارف بس بتحاول تتأقلم على الوضع اللي انت فيه.

* مش عارف.

وهكذا دار الحوار بينه وبينه، سارحًا حاملًا هموم الدنيا فوق كتفيه.

كان هناك صراع دائم يعيش فيه "ماضي"، وهو المشاكل الزوجية التي بينه وبين زوجته الغيورة المتسلطة، التي كانت تزداد حدّتها كل يوم، وبين ضميره الذي كان يؤنبه ليلًا

ونهارًا؛ بسبب غرامه القديم "شكرات"، التي اختفت في ظروف صعبة وغامضة إلى حد ما.

كان "ماضي" من كثرة المشاكل الزوجية يهوى كثيرًا الجلوس والبقاء أكبر وقت ممكن بمحل الملابس الذي يملكه فى حي راقٍ بوسط البلد، فكان دائمًا يشغل نفسه بالبحث عن أرقى الموديلات من خلال شبكة الإنترنت، والمواقع المتخصصة في الملابس والأزياء.

في خلال هذه السنوات التي تتوالى فيها السنة تلو الأخرى، ومنذ أن اختفت "شكرات"، والتي كانت تتابع أخباره في السنوات الأخيرة فقط من خلال صديقتها "نوسة"، وهي في نفس الوقت ابنة خالتها، وكانت تعلم بقصتها مع "ماضي"، كما كانت أيضًا تعرّف الكثير من الأسرار، وكل الأحداث التي مرا بها في الماضي البعيد، كما سنعرف من الأحداث فيما بعد.

في ذات ليلة، وبعد أن خرج "ماضي" كعادته من المحل متأخرًا، ذهب ليسهر فى إحدى الكافيهات مع صديقه "فؤاد"

- صديق عمره-، الذي عَلمَ أنه متواجد هذا الأسبوع في القاهرة، فهو متزوج من زميلة له أحبها أثناء دراسته الجامعية اسمها "منال"، وكانت أشهر قصة حب يعرفها الأهل والأصدقاء، وجميع الزملاء، وهم في السنة الثانية بكلية التجارة، وأنجب منها ولدًا اسمه "عمر"، وبنت اسمها "لبنى".

رجع "ماضي" إلى البيت بعد الفجر، فوجد زوجته المتسلطة "ميرفت" فى انتظاره، وهي ثائرة وغاضبة، وبعد أن رأته كأن البيت قد اشتعلت فيه النيران من كل جانب، وكأنه شجار في مقهى بلدي نتج عنه تكسير، ثم تبادل بالألفاظ الفجة فيما بينهما؛ وذلك بسبب تأخره إلى هذا الوقت، فترك لها "ماضي" المنزل؛ ليمنع نفسه من أن يرتكب شيئًا يساعد على تعقيد الأمور أكثر مما هي عليه، فأخذ سيارته وهو لا يدري إلى أين سيذهب، إلى أن ساقه القدر إلى مكان كان يجلس فيه منذ زمن بعيد مع حبه الأول "شكرات"، وهو تحت شجرة من الأشجار المتواجدة على ضفاف النيل، فهي الوحيدة الباقية من الماضي، وكل الأشياء هناك حتى المعالم على الكورنيش قد تغيرت، فقد مر على حكايتهما أكثر من

خمسة وعشرين عامًا.

جلس "ماضي" على الحجر المتواجد تحت هذه الشجرة التي كانا يجلسان تحتها دائمًا، فهما كانا يأكلان ساندويتشات الفول والفلافل على هذا الحجر قبل أن يذهبا إلى الشركة التي يعملان بها، ثم أغمض عينيه، وكأنه يرى فيلمًا سينيمائيًا يمر أمام عينيه.

يتذكر "ماضي" كل الأحداث التي مرت في الماضي مع "شكرات" منذ أن تعرّف عليها من خلال الجامعة والعمل معًا كمندوبي مبيعات لإحدى الشركات، وكيف جمع الحب بينهما.

كان "ماضي" و"شكرات" يقضيان أكبر وقت سوية في الشوارع والميادين؛ لعرض منتجات الشركة على محلات الملابس، إلى أن عرّفها بأهله، بل كيف فرضها على أهله؟! وخصوصاً أمه وأخواته البنات!.

في هذا التوقيت.. أخوه "مصطفى" -آخر العنقود- كان ما زال صغيرًا، ولكن كان الانتقاد من باقي أفراد الأسرة؛ بسبب علاقتهما ببعضهما، التي وصلت إلى درجة غير لائقة ومحل

شك وشبهة؛ لأنها كانت تقضي وقتًا كبيرًا ومتأخرًا من الليل بحجة أنها تحب السهر مع هذه الأسرة الحنونة والمتماسكة، والتي يحفها الحب والسعادة والدفء من كل جانب.

لكن "شكرات" كل نيتها هو عدم الابتعاد لحظة واحدة عن "ماضي" عشيقها، حتى أصبحت تساعدهم في شئون البيت من الطبخ والمسح والكنس، وكأنها فرد من أفراد هذه الأسرة، حتى وصل الأمر بها أن فرضت نفسها على هذه الأسرة بطريقة تدل على أنها زوجة ابنهم، وليس زميلة أو صديقة له.

فكل هذه التصرفات التي تسلكها "شكرات" مع هذه الأسرة أثار حفيظة وغضب معظم أفرادها، خصوصًا الأم وأخت ماضي الصغرى "أمل"، إلى أن حدث ذات ليلة أن رأت "أمل" هذه الفتاة "شكرات" وهي في أوضاع غريبة، فكانت ترتدي قميص نوم، وكان معها "ماضي" بغرفته؛ مما جعل "أمل" تُصر بأن يطردها "ماضي" من البيت فورًا، وألا تعود مرة ثانية إلى هذا البيت؛ حتى لا يضطرها أن تُبلغ أمه بما يحدث، وفي نفس الوقت مع ارتفاع

الأصوات سمعت الأم هذا الحوار، وجاءت على الفور، وعلمت من "أمل" ما حدث، فوجّهت الأم اللوم والعتاب الشديد لـ "ماضي"، وأمرته أن يقطع علاقته بهذه الفتاة نهائيًا، وإلا سيضطرها أن تطرده خارج البيت فورًا.

قام "ماضي" بتجهيز حقيبة كبيرة له، وجمع فيها ملابسه، وكل متعلقاته الخاصة، وبالفعل.. أخذ "شكرات" وخرج من البيت؛ لأن هذا البيت كان يعلم "ماضي" جيدًا أن له قواعد وأصول، كما أن هذه الأسرة بأكملها لا تقبل أن يفعل هكذا مع بناتهم؛ فهذا ضد أخلاقهم الحميدة، رغمًا من أن "شكرات" تحب "ماضي" حبًا كبيرًا يصل لدرجة العبادة، لكن هذا ليس مبررًا على الإطلاق؛ فالأصول أصول، لا أحد يستطيع أن يحيد عنها مهما كانت درجة القرابة أو العواطف، فكان يجب على "شكرات" أن تحافظ على شرفها وعرضها، وعلى ماء وجهها أمام أسرة حبيبها، وكان لزامًا أيضًا على "ماضي" أن لا يعطيها هذه الفرصة بأن لا تسلمه نفسها، أو حتى تتعرى أمامه، أو حتى ترتدي له الملابس الشبه عارية بدون وجه حق؛ فهي لم تصبح زوجته حتى الآن، كما أنها لم

تحسب أي حساب لهذا البيت الذي توجد فيه، وأن هذا البيت يوجد فيه بنات وشاب صغير، بل والأهم من ذلك كله أنه مخالف لتعاليم الدين والإسلام، كما أن غضب الله لهذه التصرفات والأفعال أشد وأكبر.

الآن ليس أمام "ماضي" غير أنه يذهب إلى "فؤاد" صديق عمره، وسره الأمين، لكي يجد له مكانًا؛ لأن "ماضي" تأكد من أن "شكرات" أصبحت مستعدة أن تعيش معه بأي صورة من الصور، لذلك عقد العزم والنية، وعرض الموضوع على "فؤاد" صديقه الوحيد، وحدثه بأنه يحب "شكرات" بجنون، ولا يستطيع الابتعاد عنها أو العيش بدونها، وأنه يريد منه أن يوفر له سكنًا؛ لكى يختفي فيه بعيدًا عن الأعين، مخافة أن يراهما أحد معًا، وخاصة أن "شكرات" من عائلة صعيدية؛ ولأن فؤاد من عائلة كبيرة، وثرية ويعملون في تجارة الأراضي وبيع وشراء العقارات، فلذلك يستطيع أن يوفر له السكن المناسب.

كان "فؤاد" أيضًا لديه شركة خاصة به تعمل في نفس المجال، فمن السهل عليه أن يوفر له هذا السكن؛ لكى يختفي

فيه هو وعشيقته "شكرات" عن أعين الناس، وقد كان.

_ بقى يا راجل ماتقولّيش على تطور العلاقة بينكم كدا؟

* والله يا فـؤاد كنـــت هـاقـــول لـك، بـس لما أتأكـد مـن حُبي ليها الأول.

ينظر "فؤاد" باستغراب لـ "ماضي":

_ طب اكتب عليها عرفي طيب.

* لأ يا فؤاد بإذن الله هاتجوزها شرعي بإذن الله.

فؤاد" يقنع "ماضي" بأن يقوم بكتابة عقد الزواج العرفي عند محامٍ، يثبت فيه" بأن "ماضي" متزوج من "شكرات" زواجًا عرفيًا؛ فيطلب من "ماضي" صورًا من البطاقات الشخصية، وهو سوف يجهز له هذا العقد ويوقفه على التوقيعات، وبالفعل تم كتابة العقد العرفي؛ تحسبًا لأي شيء سيحدث في المستقبل، ووقتها يستطيع أن يقول أنه متزوجها زواجًا عرفيًا، وهذا هو العقد.

في هذه الأثناء.. أسرة "شكرات" لم يغمض لها جفن، قلقين عليها، وخصوصًا الأم؛ لأن أخوَيها -أي أخوَي "شكرات"-

ما زالا صغيرين، وهما: "تهاني" و "عواد"؛ فالأب والأخ الأكبر في السجن .

لم تعتد "شكرات" المبِيت خارج البيت؛ فهي خرجت من بيتها في الصباح كالعادة للذهاب إلى عملها فى الشركة، وقد أخبرت والدتها أنها سوف تذهب بعد الانتهاء من العمل إلى حفل خطوبة زميلة عزيزة عليها قامت بدعوتها لحضور الحفل منذ أسبوع مضى لكنها نسيت أن تخبر والدتها، والحفل في منزل العروس والمدعوون من الأقارب وبعض الصديقات والمقربين من أهل العروس فقط، وأنها سوف تأخذ الملابس المناسبة للحفل، وأنها سوف ترتديها عند زميلتها في البيت، "هذا ما قالته لوالدتها".

بالفعل أخذت معها حقيبة بها أغراض كثيرة خاصة بها، وخرجت من البيت، وكان بداخلها قرار المبيت خارج بيتها...

_ شكرات ما رجعتش البيت من وقت ما خرجت امبارح!

* إزاااااااي بس؟

_ والله زي ما بقول لك، خرجت امبارح ولسّه مارجعتش.

* يالهووووووي!

هكذا عَلِمت "نوسة" ابنة خالة شكرات، من خالتها "توحيدة"

ظلت نوسة تبحث معهم عن "شكرات"، وذهبت معهم إلى مقر الشركة؛ ليسألوا عنها...

_ استني قبل ما نبلغ البوليس نسأل زميلها "ماضي".

* طب انتِ عارفة تليفونه؟

_عارفه عنوان بيته، ساكن في نفس المنطقة مش بعيد

* يلا نروح له بسرعة مستنيه إيه؟

"هكذا دار الحوار بين "توحيدة" والدة "شكرات" وابنة أختها "نوسة"

في الطريق إلى بيت "ماضي" كانت "نوسة" في صراع كبير، وتردد؛ هل تخبر خالتها عن العلاقة التي بين "شكرات" و "ماضي"، أم تلتزم الصمت ولا تسبق الأحداث؟ ولكن في قرارة نفسها كانت "نوسة" غاضبة، وحزينة؛ لأن "شكرات" لم تخبرها بآخر التطورات التي بينها وبين حبيبها.

_ ماينفعش أتسرع في الحكم عليها.

"قالته نوسة بينها وبينها"

دقّت "نوسة" جرس المنزل، ففتحت "أمل" شقيقة "ماضي"

الصغرى الباب، إذا بها تتفاجىء بأم "شكرات" وابنة خالتها "نوسة" أمام الباب:

_ انتوا مين؟

* احنا عايزين الأستاذ ماضي في موضوع.

- عايزين نسأله عن شكرات بنتي لو يعرف عنها حاجة.

_ بنتك مين دي يا حاجَّة؟ انتي أم شكرات؟

- آه يا بنتي.

_ بنتك دي مش متربية خالص، ايه انتوا ماعندكوش رقابة؟ ايه مافيش حد بيقول لها انتِ بتروحي فين وبتيجي منين؟ بنتك دي واحدة مش هاممها أي شيء في الدنيا!

- عيب يا بنتي كفاية كدا، عيب، احنا ناس صعايدة ما بنعملش العيبة لا سامح الله.

_ العيبة! هاهاهاهاه، بنتك دي مش عاملة حساب ليكم نهائي يا ست الحاجة، ولا تعرف حاجة عن التربية، بنتك كانت هنا، وكمان على طول كانت بتيجي عندنا ليل ونهار، احنا اللي طردناها من هنا، وخدها ماضي وخرجوا، ومانعرفش هما راحوا على فين، روحي يا حاجة دوّري على

بنتك في حتة تانية.

دار الحوار بين أم "شكرات" و "أمل" الشقيقة الصغرى لـ "ماضي"، فأنهت أم "شكرات" الحوار:

_ أنا هابلغ الشُرطة، وهاقول إن أخوكِ هو اللي غواها وخلَّاها تسيب الدار.

فبهمس ووشوشة قالت "نوسة" لوالدة "شكرات":
* كدا انتِ هاتعملي شوشرة لبنتك من غير داعي، واحنا مانعرفش حاجة.

فكان الرد من أم "شكرات" على "أمل":
- على العموم أنا هابلّغ عِمامها وولاد عِمامها في البلد في الصعيد، دول يسدّوا عين الشمس، وهمّا يتصرفوا، يلّا يا نوسة.

"أمل" بامتعاض، وبطريقة بها احتقار:
_ مع السلامة يا اختي انتِ وهيَّ.
وهذا الموقف كان بمثابة الضربة القاضية لـ "توحيدة" -أم "شكرات"-، التي لم تتخيّل أن بنت في عمر أولادها تحدثها

بهذه الطريقة المخزية، وأن التي وضعتها في هذا الوضع الذي لا تحسد عليه هي ابنتها العذراء –"شكرات".

الفصـــــل الثاني

(توحيدة)

"توحيدة" تترجى زوجها "عودة" بأن يترك الطريق الذي يسير فيه؛ لأن عاقبته الندم، فهي تريد أن تنهي حياة القلق والخوف، مثلما ترك أرضه وأهله من أجل الثأر، وعاشت معه في القاهرة منذ سنوات بين الزحام".

"نوسة" تصطحب خالتها "توحيدة" -أم "شكرات"- لبيتها، وهي شبه منهارة من هول ما سمعت من "أمل" -أخت "ماضي"-...

أنا هادخل ارتاح شوية في أوضتي، لإنى مش قادرة أقف على رجلي ودماغي بتلف.

قالتها "توحيدة" قبل الدخول لغرفتها، وتجلس على السرير، وتعود "توحيدة" بالذاكرة فترة من الزمن للوراء...

_ ياريت يا عودة تنسى بقى الناس ديًا، وتخلّي بالك من الوِلد شوية، خلاص الولاد بيكبروا، والسكة اللي انت ماشي فيها ديّا واعرة وآخرتها السجن، وانت عارف إكْدِه واحنا هنا مالناش غيرك بعد ربنا سبحانه وتعالى إحنا نعتبر أغراب، ودي مش بلدنا ومانعرفش حد فيها قد إكده، وانت خوك "عيّاد" كل يوم في بلد شكل مالوش مكان ثابت، قاعد النهار ده في بلد بكرة تلاقيه قاعد في بلد تانية، لو حصل لك حاجة لا قدر الله مانعرفش نلاقيه بسهولة، وأنا كانت أختي الوحيدة اللي كانت ليّا ماتت الله يرحمها، حتى فاتت بنتها الوحيدة "نوسة"، وأبوها اتجوز واحدة تاني، وأنا خدت البنيّة اليتيمة

وباربّيها مع الوِلد وباقول لما تكبر اخدها لـ "خميس" ولدي، وأديك شايف "خميس" ملموم على شباب عفشين واحنا غلبنا فيه نصايح لكن شايف بوه ماشي كيف، بيجيب الجنيه من عين العفريت، وآدي آخرة عدم سماع الكلام.

* بكرا يكبر ويعقل يا توحيدة، وأنا لو ماعملتش اكده كنا هانجيبوا وَكل منين؟ انتِ عارفة لولا حكاية التار دي كان زماني باراعي الكام فدان شغلنا أنا واخويا نزرع ونقلع فيهم، ولو كنا عِشنا في البلد كان ولاد أبو عطية ماكنوشي هايهمّلوني أنا واخوي بعد ما خلصوا على ولاد العم كلاتهم، واحنا مالناش أي ذنب، لكن هم جبابرة هاياخدوا قِدّام الراجل اللي راح من عنديهم عشرة، وأكيد كانوا هايدوّروا علينا إحنا كمان.

_ كل ده أنا عارفاه طبعًا، إحنا بقالنا مع بعض سنين مش بسيطة يا عودة، يعني عارفة البير وغطاه.

* كنت هاعمل إيه عاد؟ كنت هاتوظف ولا هاتوظف؟! بعد ماعدّيت ٤٠ سنة؟

_ أهو كنت شوفت لك أي شغلانه بالحلال وخلاص.

* فيه واحد بيقعد معاي على القهوة أخوه شغال غفير على مصنع كبير في منطقة العاشر من رمضان، والغفير "علي" اللي معاه كبر ومابقاش قادر على شغلانة الغفرة دي؛ لإنه راجل كبير فى السن، وصاحب المصنع قال له هات راجل يغفر معاك.

_ طيب كويس شغلانة الغفرة شغلانه حلوة بالنسبة لك، وانت اكده بتحب السهر ومتعوّد عليه.

* المشكلة إن منطقة العاشر ديّه كلها مصانع، ومعظم الغفر اللي بتغفر هناك صعايدة، خايف حد من ولاد أبو عطية يتعرف عليّا هناك.

_ انت بقالك عُمر اهنِه، وشكلك كمان اتغيّر خالص عن زمان، جسمك زاد قوي، وأكيد ماحدش مهما إن كان هايعرفك وانت ماعدتش بتنزل الصعيد خالص.

* أيوه بس من خاف سلم، يا توحيدة دلوكيت العيال بتكبر ولازم أراعيهم.

_ خليها على الله، أكل العيش مُرّ.

* على الله.

هكذا دار الحوار بين "توحيدة" وزوجها "عودة"، قبل أن يسمعا صوت طرقات الباب، فانطلقت "توحيدة"؛ لتفتحته وتتفاجأ:

_ ما له خميس؟ ما لك يا خميس يا ولدي؟! رد عليا؟

* ما له خميس؟ جرى له إيه؟ طمّنوني، مالك يا خميس؟ رد على بوك يا وليدي.

"كان على الباب شابان يحملان "خميس"، ويظهر عليه بعض الجروح"

بعد أن وضع الرجلان "خميس" على إحدى الكنب البلدي المتواجدة في الصالة، قال أحدهم:

= خليه ينام دلوقتي، ولما يصحى يبقى يحكي لكم هو على كل اللي حصل.

وانصرف صديقا "خميس"، اللذان قاما بتوصيله لأهله غارقًا في دمائه.

قامت الأم بالتفتيش في جسم ولدها، إذا بها تفاجأ أنه مصاب

بطلق ناري بكتفه الأيسر:

_ خميس بينزف قوي يا عودة، هانعمل إيه عاد؟ جيب عربية بسرعة نودّيه المستشفى بسرعة.

* ابنك شكله كده عامل عملة كبيرة، اللي خلّاهم ضربوه بالنار اكده.

_ يعني إيه؟ هانسيبه اكده لما يموت مننا يا عودة؟ مش مهم حاجة، المهم ابني يعيش، اتصرف اعمل أي حاجة.

* أنا هاوصل مشوار لواحد معرفة وهاجيبه معايا علشان يطلع الرصاصة من كتف خميس، ما تقلقيش، مش هاتأخر.

_ بسرعة يا عودة، بسرعة، ابني بيروح مني.

* مسافة السكة.

رجعت "شكرات" من المدرسة فرأت أمها منهارة، وتمسك منشفة، وتمسح العرق الذي ينصب من "خميس" -أخيها-، فهو ما زال يتألم؛ فينعصر قلبها من الحزن عليه من هول ما رأت، وتجهش بالبكاء.

"توحيدة" تهدئ من روعها، وهي في نفس الوقت في أمسّ

الحاجة لمن يهدئ من روعها؛ لأن قلبها ينفطر على ابنها الأكبر.

"عودة" يدخل البيت ومعه "عشري"؛ لكي يخرج الرصاصة من كتف "خميس"، وبعدما أنهى "عشري" مهمته، يسير معه "عودة" إلى باب البيت لتوديعه، وهو يثني عليه، ويمدحه بعد خروج الرصاصة من كتف "خميس"، وبعد مرور ساعتين، يبدأ "خميس" في التعافي شيئاً فشيئًا....

* احكي لى يا ولدي؟ ايه اللي حصل لك؟ كيف انضربت بالرصاص؟ وكنت فين لما انضربت؟

~ يا بوي أنا مارضيتش أروح المستشفى علشان سين وجيم.

(توحيدة في فزع):

_ ليه يا خميس يا ولدى خايف من سين وجيم ليه؟ انت عملت حاجة عفشة أكيد يا ولدي.

* يا أم خميس، ابنك ما هايجيبهاش البر طالما ماشي مع الولدين دول، أنا يا ولدى ماخابرش أعملك ايه؟

~ يا بوي ماكنتش ماشي مع الولدين اللي جابوني دول، دول

لما شافوني بانزف جابوني للدار.

* وكيف أنت اتصبت عاد؟ احكي لي يا ولدى علشان ندبّر حالنا ولا نبلغ البوليس؟

~ بوليس لا يا بوي، لكن أنا خابر كيف أجيب حقي منهم صح

ترد "توحيدة" عليه:

_ حقك منهم؟! دول بقى ناس كتير، وواضح اكده مابيتفاهموش غير بالسلاح، يا ولدي مانافعش حق ولا باطل مع الناس دول، ابعد عن الشر وغني له يا خميس.

~ دول ناس كلوا حقي في تجارة اكده، ولما طالبتهم بباقي حقي ماعايزينش يدوهولي، ولما حسيت أنهم ناويين يأذوني وهايفتحوا عليّا النار جريت، لولا ستر ربنا كانت الرصاصة جات في قلبي.

فرد "عودة":

* تجارة إيه دي يا ولدى اللي تموّت نفسك علشانها؟!

~ تجارة سلاح يا بوي.

ردت "توحيدة" في فزع:

_ انت بتتاجر في السلاح يا خميس؟ انت عارف دي آخرتها إيه؟

فرد عليها "عودة":

* معروف آخرتها طبعًا، ولدك عاوز يموت يا توحيدة! عاوز يودّي نفسه ورا الشمس.

~ يابوي.. انت فاكر سلاح سلاح يعني؟ دي حاجات اكده بتتصنع في ورش تحت السلم، بعدين دول حتّة أو حتّتين بالكتير، بس هما طمعوا في حقي يا بوي، وانا ما احبّش حد ياكل حقي واصل.

* اللي يتاجر في ده يتاجر في ده، وطالما اتجرأت اكده، يا ولدي شوف لك سكة بعيد عن اهنه، أنا علشان أحافظ عليك همّلت أرضي، همّلت ناسي، همّلت كل اللي ورايا واللي قدّامي، وخدتك أنت واختك شكرات، وكانت لسه لحمة حمرا، وجينا قعدنا اهنه بعيد عن النار، تقوم انت بنفسك اللي تحط نفسك في قلب النار؟!

ترد "توحيدة":

_ اسمع كلام بوك يا خميس وهمّل الطريق اللي انت ماشى فيه ده.

~ خلاص يا بوي هاسمع كلامك، العمر مش بعزقة عاد، يا روح ما بعدك روح.

"خميس" كان يعلم أنه يعمل مع تشكيل عصابى مسلح، ولكنه أنكر واختلق قصة لكي يقنع والديه بموضوع الرصاصة التي أصابت كتفه.

فقال "عودة":

* عين العَقل يا ولدي.

ردّت عليه "توحيدة":

_ حاول تاخدوا معاك في شغلانة الغفرة دي اللي هاتروحها، واهو يساعدك ويبقى معاك وتاخدوا بالكم من بعضيكم.

~ بجد يا بوي؟ هاتهمل الموضوع ده اللي كنت ماشي فيه ده مع الناس النصابة ديّه؟

* طبعًا يا ولدي، خلاص الطريق بتاع التلات ورقات مابقاش ينفع، ولا عاد يصح دلوكيت، يدّك في يدّي وربنا يغنيها

بالحلال يا ولدي.

_ يا بختكوا، ويصلح حالكم يا رب يا عودة انت وخميس ابن بطني.

"عودة" يستلم العمل الجديد -"الخفرة"- على مصنع كبير في منطقة العاشر من رمضان من أصحاب المصنع، والمسئولين عنه وعن إدارته، وتم تعيينه في المصنع المسئول عن البوابة الرئيسية للمصنع، وهناك من هم مسئولون عن الأسوار، ومنطقة المخازن، وأماكن أخرى حساسة في المصنع، ولكن "عودة" لم يخبر أصحاب المصنع أن ابنه "خميس" سيكون معه فى هذه الحراسة، أو على الأقل مساعدته من آن لآخر حتى يستطيع أن يجد له عملًا فى هذا المصنع الكبير. ويرجع "عودة" لبيته سعيدًا بالعمل الجديد والاستقرار في مصدر الرزق، والأهم أنه حلال.

* عارفة يا توحيدة! لما بيقولوا لي انت مسئول عن البوابة الرئيسية في الليل، كنت هاطير طير اكده في السما، أول مرة أسمع حد في شغل يقول لي انت مسئول عن حاجة.

_ أنت قدّ المسئولية طول عمرك يا عودة، لماش عاد الفترة

الأخيرة كنت عمّال تخبط يمين وشمال.

* كنت باخبّط علشان لقمة العيش، مش علشان باحب الطريق ده عاد، لكن الحمد لله ربنا فتح لنا سكة شريفة.

_ حافظ عليها زي عينيك يا عودة.

* إن شاء الله يا أم خميس.

"خميس" أثناء عودته من المقهى إلى بيته، في نفس اليوم الذي استلم والده فيه العمل -الخفر- في المصنع، يتقابل مع "كيشة" و "ونّس"، وهما فردان من أفراد التشكيل العصابي المسلح الذي كان يتعامل معهم قبل إصابته بطلق ناري في كتفه، ودار بينهم الحوار:

= أخيرًا ظهرت يا أبو الأخماس؟ فينك يا راجل مش باين خالص الأيام دي؟

~ مين؟ كيشة، وونّس؟

= أيوه كيشة، مستغرب ليه؟! إياك كنت فاكر إننا مش هانتقابل تاني؟!

"ونّس":

- مش هاتقدر تبعد عننا، ولا هاتقدر تستغنى.

~ يا نحلة لا تقرصيني ولا عايز عسلك!!!.

- كلام إيه ده اللي بتقوله؟ الكلام دا تقوله بقى للمعلم مرعي.

~ لا مرعي ولا برعي خلاص، أنا هابعد عن طريقكم دا، وبلغوه على لساني إني بعدت عن الطريق دا، ومش هاارجع ليه تاني.

- مش بالمزاج، انت عارف كل أسرارنا يا خميس، ولازم تكمل معانا، وإحنا عارفين إن دا هايكون قرار المعلم مرعي.

= انت دخلت عشّ الدبابير يا خميس خلاص، فكر وروح للمعلم سوّي الحساب القديم، وإحنا كأننا ما سمعناش أي حاجة.

"خميس" يجلس مع الأسرة لتناول العشاء، لكنه شارد العقل وفكره مشغول؛ بسبب موضوع المعلم "مرعي"، وأيضًا يتمنى أن يكون مع والده في عمله الجديد؛ لأنه يعلم أن عصابة المعلم "مرعي" لها ذراع في كل مكان، وربما يفعل أي شيء، لكي يثني ذراعه بأي عمل خسيس؛ لتجبره على العودة للعمل معهم مرة ثانية.

وتمر الأيام تلو الأخرى، و"خميس" يعمل بالتزام وجدّ مع

والده في خفرة المصنع، وتأتي له مراسيل كثيرة للعدول عن فكـرة البعـد عـن العمـل مـع المعلـم "مرعـي" وعصـابته، ولـم يسـتجب، حتـى اتفـق المعلـم "مرعـي" مـع "كيشـة" و "ونّـس" علـى خطـف "شـكرات" أخـت "خمـيس"؛ لكـي يضطره للرجوع للعمل معهم من جديد...

_ إحنا هانخطط النهارده للعمليـة، إيـه رأيك؟ مـا تيجـي نـروح نقعد عنـد سـونيا بالليل بعد مـا تخلـص شـغلها فـى الكباريـه؟ ونفـرفش كـدا ونخطـط بمـزاج ازاي هـانخطف شـكرات أخـت خميس.

* طيـب إيـه رأيك مـا نـزقّ عليهـا سـونيا وتستدرجها لحد هنـا وتخش المصيدة برجليها؟

_عفارم عليك يا معلم ونّس.

*يبقى يورّينا بقى سي خميس هايعمل إيه لمـا يعرف إن أختـه بنت البنوت مخطوفة، واحنا اللي ورا خطفها.

الفصـــــل الثالث

(سونيا)

"رغم أن "خميس" رفض حب "سونيا" إلا أنها مازالت تحبه، فلم تطوع لها نفسها أن تنفذ الخطة التي خططها "ونّس" و "كيشة"، وهى خطف "شكرات" أخت "خميس"، فتبحث "سونيا" عن رقم هاتف لـ "خميس"؛ لكي تحذره بأن أخته في خطر ليأخذ حذره".

"سونيا" ترجع إلى بيتها بعد أداء فقرة الرقص الخاصة بها في "الكباريه"، الذي تعمل به، فتتفاجأ بـ "كيشه وونّس" يتناولان الخمور والمخدرات في شقتها، فهما من جعلا من سونيا سونيا، بعد ما كانت تبيع المناديل في الشوارع، وأحيانًا كانت تبيع الورد والفل في الحدائق العامة، حينما كانت فتاةً صغيرة، وهم من أطلقوا عليها اسم "سونيا" بدلًا من "سكينة"، وزرعوها في الكباريه الذي تعمل به الآن؛ لكي تستطيع أن تأخذ منه معلومات عن الزبائن الذين لديهم أموالًا طائلة، فتستدرجهم إلى شقتها في كمين وضع خصيصًا لهؤلاء الأغنياء المنحلين الفاسدين عديمي الأخلاق والشرف والدين.

_ بت يا سيدة، انتي فين يا بت يا مقروصة في قلبك؟ تعالي بسرعة يا اللي تنشكّي في معاميعك، خدي يا بت الشنط ديّه دخليهم المطبخ.

* حاضر يا ستي.. باقول لك إيه يا ستي الجماعة دول....

_ يوه بتوع المعلم مرعي.

* قاعدين جوّا يا ستي ونازلين شرب من الصبح وأنا من

الصبح متهددة ومرعوبة منهم يا ستي ليعتدوا عليّا.

_ ما تخافيش يا بت دول بتوع شرب وبس.

* يا ستي هو اللي بيكون مسطول عارف بيعمل إيه؟

_ خلاص يا بت ما تخافيش أنا جيت، وبعدين همّا مش بييجوا هنا إلا لما بيكونوا هايدبّروا أو هايخططوا لحاجة، روحي انتِ يلّا حضّري المسائل.

"سونيا" تدخل على المعلم "كيشة" والمعلم "ونّس"، بعد أن ارتدت الزي الخاص بالسهر والفرفشة، وذهبت "سيدة" لتحضير مستلزمات السهرة...

- عايزين يا سونيا نفرفش الأول كدا ونعدل الطاسة؛ علشان فيه كلام مهم هانقوله لك وهاتنفّذيه بالحرف الواحد.

"ترد متأثرة وغاضبة":

_ كلام مهم يعني إيه؟! فهموني بقا هو أنا من إمتى ما نفذتش كل حرف بتقوله ليّا؟

~ المعلم كيشة ما يقصدش يا سونيا، بس هو قصده إن الموضوع اللي هانكلمك فيه مهم

ومش عايزين حد يعرف ولا يحس بيه نهائي.

_ بس الأول أعرف عن إيه، ونكمل التفاصيل بعد الرقصة والذي منه.

"ضاحكة ضحكة خليعة"

- يا فاهمني انت يا غزال.

تتنتهي "سونيا" من وصلة الرقص أمام "كيشة" و "ونّس"، وجلست، ليحدّثاها في موضوع خطف "شكرات"...

_ إيه، انتوا بتقولوا مين؟! مش دي شكرات أخت خميس؟ معقولة!!! طيب ليه؟! إيه اللي حصل؟!

- أنا هاقول لك إيه اللي حصل، وإيه المطلوب منك بالظبط، وتنفذيه بالحرف الواحد، مفهوم يااا سونسون؟ "بلهجة مليئة بالتهديد".

وبعدما ذهب "كيشة" و "ونّس"، تجلس "سونيا" سارحة، رغم أن "خميس" رفض حبها إلا أنها ما زالت تحبه، ومقتنعة من داخلها بأنها لن تنفذ الخطة التي خطط لها هذان الشريران، فتبحث "سونيا" عن رقم هاتف لـ "خميس"؛

لتحذره بأن أخته "شكرات" في خطر، فيأخذ حذره.

تعثر "سونيا" على رقم الحاج "يونس" صاحب دكان البقالة الكائن بجوار منزل "خميس" الذي يقطن فيه هو أسرته.

~ أيوه مين معايا؟

_ من فضلك يا عم الحاج كنت عايزة أكلم خميس عودة ضروري.

~ حاضر يا بنتي هاندهّولك.

"مناديًا على الصبي الذي يعمل عنده في المحل":

~ واد يا شوقي.. انده بسرعة على سي خميس يكلم واحدة ست عايزاه بسرعة يا ابني.

- ألو ألو.

_ إزيّك يا خميس، أنا لقيتك مابقتش تسأل علينا قلت نسأل إحنا.

- مين اللي بيتكلم؟

_ خلاص! نسيت صوتي يا خميس؟

- أنا ماعارفش مين اللي بيتكلم!

– أنا سونيا يا خميس، ولّا كمان مش عارف مين هي سونيا؟

- مين؟! سونيا؟ مين إدالك رقم التليفون ده؟

– يظهر إنك نسيت كل شيء بيننا، وبعدين اللي يسأل يا خميس ويدوّر هايلاقي،

ويوصل كمان، وانت قطعت مرة واحدة وبدون سابق إنذار، ونسيت حبنا.

- همّلي الحديت في الكلام الماسخ ده عاد.

_ دلوقتي بقا ماسخ يا خميس؟ على العموم أنا مش طالباك علشان نتكلم فى الشيء اللي انت نسيته، لكن أنا مانسيتهوش، وعملت بأصلي، أنا اتصلت بيك بس علشان أنبهك يا خميس تخلّي بالك، رجالة المعلم مرعي مش هايسيبوك في حالك، ما تخلّيش أختك شكرات تنزل نهائي من البيت الأيام ديّه مهما كانت الأسباب، "سلام يا من كنت حبيبي".

أثناء مكالمة "سونيا" مع "خميس"، كانت "سيدة" تتلصص عليها؛ لتسمع ما تقول، وانتظرت حتى نامت "سونيا"، وقامت بإبلاغ "كيشة" و "ونّس" بكل ما دار بينهما من حديث عبر الهاتف، فلقد كان كل همها الانتقام من "سونيا"؛ لسوء معاملتها لها.

"كيشة" و "ونّس" بعد سماع مكالمة "سيدة" قررا التخلص من "سونيا"؛ اعتقادًا منهما أنها خائنة، ولذلك قاما بالتخطيط مع "سيدة" بأن تضع لها بعضًا من مخدر الهيروين في الدولاب، ثم يقومون بإبلاغ الشرطة عنها، ويتخلصون منها للأبد.

_ يا أمّه عايز أقول لك الناس اللي كنت شغال معاهم بيدبروا ليّا حاجة عفشة،

وخايف الحاجة ديّا تيجي فتصيب حد من اخواتي.

* اخواتك صغار مش بيخرجوا من الدار إلا رجلي على رجليهم، مافيش غير أختك شكرات، ودي كبيرة وفي الثانوية العامة، يعني مش صغيرة، ودي تعرف تخلّي بالها من نفسيها.

_ يا أمه ما هي المشكلة إنها كبيرة عاد، والناس دي ماعندهمش ضمير نهائي.

* وانت عرفت كيف يا ولدي إنهم ناويين على حاجة عفشة لا قدّر الله؟ هو انت لساك على علاقة بيهم؟

_ لا يـا امّـه، ماليـاش صـالح بـيهم واصـل، لكـن فيـه نـاس بيعزوني بلغوني.

"كيشـة" يتنـاقش مـع "ونّـس" أن يسـتبعدا فكـرة خطـف "شـكرات"؛ لأنـه علـم أن والـد "خمـيس" يعمـل خفيـرًا علـى مصـنع كبيـر فـي منطقـة العاشـر مـن رمضـان، فاتفقـا علـى عمـل خطـة تكـون أفضـل مـن موضـوع الخطـف، مثـل سرقة المصنع، أو أي شيء آخر يسبب أذى لوالد "خميس"، المهم أن والد "خميس" يدخل السجن، فيضطر "خميس" إلى العودة للعمل معهم من جديد.

- لازم الخطـوة دي تكـون مدروسـة كـويس يـا كيشـة، أنـت عارف أصحاب المصنع دول، نـاس تقـال قـوي ومعروفين فـى البلد، وابن عمهم كان وزير الـــ ...

* عارف، ودا هايخلّي عودة رايح في داهية رايح رايح، يبقى لازم الخطة اللي نحطّها ماتخرّش الميَّة.

- ولا نقطة واحدة يا صاحبى .

_ والنبي يا امه خلي بالك من أخواتي قوي قوي.

= خلـي بالـك يـا توحيـدة زي مـابيقول لـك خمـيس ولـدك، أنـا

كمان النهار ده إحساسي غريب، مامطّمّنش، ماعارفش فيه إيه عاد؟ ربنا يسترها علينا.

* خلوها يا جماعة على الله، ربنا موجود ومطّلع، ومش راح يشمّت فينا عزول واصل.

"كيشة" و "ونّس" قاما بإحضار إطار كبير لجرار زراعي، وقاما بتحميله على سيارة -نصف نقل- يملكها صديق لهما، وقاموا بشراء عبوة "بنزين"، وانطلقوا قبل الفجر إلى المصنع الذي يعمل به والد "خميس"، وتوقفوا قبل نهاية سور المصنع من ناحية اليمين للبوابة بحوالي مائة متر تقريبًا، وقاموا بإنزال الإطار، وتركا سائق السيارة ليسكب عليه البنزين ويضرم النار به، ثم ينطلق بسيارته مسرعًا، أما هما فينطلقان إلى خلف المصنع، وقاما بالقفز على السور المؤدي للمبنى الرئيسي للمصنع، مستعينان بصديقين لهما، وهما: "شوكلى" و"نونو"، اللذان كانا في انتظارهما خلف المصنع، وقتها شب الحريق ولفت انتباه جميع الخفر بالمصنع.

في هذا التوقيت انطلق الخفير المسئول عن حراسة المبنى

الرئيسي للمصنع بسرعة ليبلغ المطافىء عن وجود حريق هائل بالقرب من المصنع؛ لأن الفاصل الذي بينه وبين المبنى الرئيسي هو سور المصنع فقط.

_ ألـو.. ألـو.. المطـافي، فيـه حريـق هنـا فـي ..... امممممممممم ...

ويتوفى شنقًا من الخلف، بعد أن تلقت المطافئ البلاغ بوجود الحريق الذي تخطى سور المصنع، واشتعل في الأشجار المتواجدة بالمصنع من الداخل، قام الجاني بفتح الخزينة، والاستيلاء على محتوياتها: "مليون جنيه ومستندات هامة"، وبعد دقائق تأتي سيارة المطافئ، وبعدها سيارة النجدة.

_ يعني انتوا ماتعرفوش حاجة عن الحريق؟

* والله يا باشا احنا كنا قاعدين ولاقيناها والعة مرة واحدة.

"الحبس لمدة أربعة أيام لكل من "عودة" وباقي الخفر على ذمة التحقيق"

_ ليه كدِه يا شكرات يا بنيتى؟! ليه كدِه يا حبيبتي، منهم لله اللي كانوا السبب.

تمر الأيام تلو الأيام، والإشاعات تنتشر انتشار النار في الهشيم؛ لأن "شكرات" مختفية، وأسرتها تبحث عنها في كل

مكان، وقد تم فصلها عن العمل.

وصل الخبر لوالدها وأخيها في السجن عن طريق أحد الأقارب أثناء الزيارات؛ فتوعّد أبوها بالانتقام منها، هي والشاب الذي يدعى "ماضي".

- شكرات بنتي أنا طفشت من الدار؟

يا دي العاار...

يا دي العاااار،

يا فضيحتي.. نفسي أكسر جدار السجن، وأطلع أخلص على التنين بيدي، شكرات ضيّعت شرفنا، يا دي العار اللي لحقنا.

* هوّن على نفسك يا صاحبي، أنا هاقوم بالواجب بدالك.

- لا أنا اللي لازم اغسل عاري بيدي وعن قريب.

"كان حوارًا قاسيًا بين "عودة" و صديقه "حميد" في إحدى الزيارات له بالسجن"

وتمر الأيام، واقترب موعد الإفراج عن "عودة"، كان دائمًا يسأل عن أية معلومات عن "ماضي"، فوعده "حميد" صاحبه بأن يجمع له المعلومات الكافية، في نفس الوقت كان

"ماضي" يستعد أيضًا للمواجهة؛ لأن كلًا من الأسرتين قد علموا بالأمر، وأن المواجهة ليست بالأمر الهين، فلا بد من الاستعداد على أكمل وجه؛ لأن الأمر متعلق بالشرف -مع صعايدة-، وهذا يعني أنه من المحتمل أن تكون هناك إراقة دماء.

_ باقول لك يا عم كامل!

* خير يا ماضي يا ابني.

_ أنا عارف يا عم كامل ان انت بتحبني أكتر من ولدك وإني أقرب ليك منه، وكنت عايز آخد رأيك في حاجة وعايزك تشيرني يا عمي.

* خير يا ماضي يا ابني، قلقتني عليك!

_ كنت عايز أشتري سلاح أحمي بيه نفسي من.....

* وأنا عارف يا ولدي من غير ما تكمّل.

_ عارف إيه يا عمي؟

* عارف إن شكرات على علاقة بيك يا ماضي.

لقد أصبحت الآن المواجهة بالنسبة لـ "ماضي" إلى حد ما بسيطة؛ نظرًا لمعرفة "كامل" عم "ماضي" بـ "عودة"،

ولكن كيف سيصلون إلى حل يعالج الأمر بعد خروج "عودة" من السجن؟ واللقاء الذي سيتم بينهم.

"توحيدة" -أم "شكرات"- خائفة على ابنتها من انتقام والدها عندما يخرج من السجن، ولكن الخطورة الأشد هو عم شكرات "عيَّاد"، الذي علم بالموضوع، فهو شخصية متسرّعة، ولا يتفاهم إلا بالسلاح، فهو الآن يبحث في كل مكان؛ لكي يعثر على "ماضي" و "شكرات"، ويفكر في خطف أحد أفراد أسرة "ماضي"؛ حتى يضغط عليه ويضطره للظهور ومواجهته.

_ خلّي بالك يا عياد، ماضي عنده عم اسمه كامل، قلبه ميت، وغني جدًا يا صاحبي، وكان معروف عنه إنه بتاع ليل وليه نزوات كتير قوي.

* تقصد إيه باللي بتقوله ده؟

_ أنا خايف عليك، كامل بيحب ماضي قووووي أكتر من ولده، وماهايطيقش حد يلمسه.

* واعمل ايه عاد؟

_ اصبر لحد ما ابوها يخرج من السجن، ونبقى نفكروا في حل.

("كامل" يذهب إلى أم "ماضي" الحاجة "فايزة" في بيتها):

_ أنا عرفت البنت دي، كانت بتيجى البيت هنا كتير.

* ليه وقتها مالمّيتيش الدور لما عرفتِ حكايتهم؟ أو على الأقل كنتِ حذرتِ ابنك ماضي.

_ مين قال كدا؟ أنا أول ما سمعت وشوفت طردتهم على طول من البيت.

* كان المفروض من أول يوم جابها البيت، كنتِ قلتِ له إن دا مايصحش دول أهلها ناس صعايدة، وزي ما بيتقال مش بيتفاهموا غير بالسلاح، بس أنا قدّهم وقدود، وهاعرف أخوّفهم، دا إلا ماضي عندي، دا مش ابن اخويا وبس ده أخويا الصغير، عمومًا أنا جهّزت نفسي واستعديت كويس لهم في أول مواجهة بِيننا.

_ ربنا يخليك لينا يا حاج كامل ويخلي لك أسماء بنتك.

"ماضي" في ظل هذه الظروف والأحداث التي يمر بها يكاد

قلبه يخرج من صدره، بل ينخلع من شدة القلق والخوف، ربما يكون هناك أحد من أسرة "شكرات" متربصًا له، أو متربصًا لأي فرد من أفراد أسرته، فكان دائمًا يخرج متخفيًا ومتنكرًا في زي مختلف عن طبيعته؛ حتى لا يستطيع أحد من أقارب عودة التعرف عليه، حيث أنه كان من آن لآخر يذهب ليطمئن على أمه وأخواته، وذلك بعدما شاعت الأخبار عن علاقته بـ "شكرات".

_ عرفتِ ان شكرات بنت عودة عشقت واحد وهربت معاه؟

* آآآآآه ياختي سمعنا، البلد كلها بتتكلم.

_ مانعرفش اللي تسيب بيت أبوها وتهرب مع واحد يا صاحبي ديّتها إيه؟

* ديّتها طلقتين، خسارة فيها كمان.

_ اوعي يا بت تعملي زي شكرات بنت توحيدة وتسيبي البيت مع حد!

* لا يا اما هو أنا.....!

هكذا استقبل كلام الناس "عودة" بعد خروجه من السجن،

والذي كان من المفترض أن يُستقبل بالمزامير والزغاريد بعد قضاء مدة السجن والتي كانت خمس سنوات.

_ أني هاتجن يا جماعة، عايز حل دلوكيت بدل ما اقتلها هي وهو وانتحر، قولوا لي اتصرف كيييييييف؟

* بص يا عودة احنا نقعدوا مع كامل عم ماضي ونوصلوا لحل.

"كان نقاشًا حادًا بين "عودة" وأهل بيته حتى وصلوا إلى هذا الحل"

بعض الشخصيات الكبيرة من عائلة "ماضي"، وعائلة "عودة"، وبعض من الأشخاص الحكماء فى المنطقة، يلتقون في المكان المحايد المتفق عليه، مع العائلتين، وهو منزل أحد كبار البلد؛ وهو الحاج "معتمد شوقي"، وهو مكان مخصص لانعقاد الجلسات العرفية، وذلك للصلح والفصل في الأمور المتنازع عليها بين الأطراف، وهذه المجالس العرفية قد اعترف بها القانون بعد ذلك؛ لأنها حقنت الكثير من الدماء بين العائلات، وكان هذا عن طريق هذه المجالس العرفية.

_ على اتفاقنا يا حاج عودة؟

- على اتفاقنا يا حاج كامل، شكرات هاترجع بيت أبوها وماحدش هايقدر يمسّ شعرة منيها، وبعدها بسبوع تاجي يا كامل انت وماضي تطلبوا يدها، وقطع لسان أي حد يتكلم عليها نص كلمة.

_ وعد شرف يا حاج عودة ما حد يمسّ ماضي هو وأسرته بعدين؟

- بص يا وِلد اخوي، هاخد شكرات لبيت أبوها بيدي، وبعد ما الأمور تهدا بسبوع ولا حاجة نروح نطلب يدها على سنة الله، وقصاد الناس يا ولدي.

* اللي تشوفه يا عمي.

"هكذا اتفق كامل وماضي"

"كامل" يعلم أن "عودة" مبيّت النية، أو أن هناك شيئًا ما فى ضميره لا يعلمه قد يحدث؛ لأن الأمر لن يمر هكذا مرور الكرام، ولكن ما حدث هو شكليات أمام الناس فقط.

_ أني خايفه قوي يا عم كامل.

* ماتخافيش يا بتي، أنا وماضي هنوصلوكِ لباب بيتك، وانتِ عارفة كلام الصعايدة لما يقعدوا في قعدة عرفي.

* بتّك وصلت لعنديك يا عودة.

_ شكرًا لحد اكده يا حج كامل، مع السلامة.

"كامل" أصبح في دهشة وحيرة من كلام ونظرات "عودة"، التي تحولت إلى رصاص خارق وحارق فى ذات الوقت، وأُدخل الريبة والشك والقلق في قلب "كامل"؛ بسبب هذه الطريقة التي استقبله بها "عودة" عندما سلمه ابنته، فقد تأكد "كامل" من خلالها أنه سوف يُفعل بهذه البنت مكروه، ولكن ماذا؟! لا يدري ما هو العقاب، فالعقاب عندهم له أشكال وأساليب كتيرة، وهل سيكتفي بعقاب البنت وحدها فقط أم ماذا؟

- احكي لي كل حاجة بالتفصيل يا بتي.

* بص يابوي، أني حبيت ماضي؛ لأنه شاب طموح، وأخلاقه عالية، وطيب، وراجل يعتمد عليه، وله مستقبل، أنا ماقدرتش أحكي لأمي؛ لأني كنت عارفة الجواب، لأني أعرف كويس عادات الصعايدة، وإن عيلتنا على وجه التحديد بناتهم ما

بيتجوزوا من برّا العيلة، وكنت عارفة مدى حب ماضي ليا يابوي، وأنا لسّاني بت بنوت.

"شكرات" هنا تعطي مبرارات فقط؛ لتمتص غضب والدها، أو أنها تقلل من العقاب، فهذا ما كان يصوره لها ظنها فهي في موقف لا تحسد عليه.

- كيف تقعدي معاه شهر وما يجيش جنبك؟!

* وحياتك عندي يابوى ماجاش جنبي في الحاجة الكبيرة، صدقني يا بوي، ما تقلقش، وحياتي عندك يابوي ما تقلقش عاد.

"عدم قسمها بالله شكّك والدها في أنها محتمل أن تكون ارتكبت خطأً وتدّعى الشرف كذبًا".

الغَريب هنا، والعجب كل العجب- أن "عودة" لم يفعل شيئًا سوى اللوم، والنظرات القاسية لها، وهذا ما يدل على أنه قد عقد العزم على شيء ما، وهذا الشيء كبير جدًا، وهذا ما أحسته "شكرات" بقلبها.

وأمرها أن تدخل حجرتها، وألا تخرج منها إلا بأمره، وحذر

كل المتواجدين بالبيت، وأكد على أنها لا ترى الشارع مهما حدث، إلى أن يتصرف هو في أمرها.

- بص يا عياد يا أخوي، احنا هانخلص منّيها من غير ما حد يحس بينا.

"هكذا اتفق "عياد" و "عودة"، وهما يجلسان في مكان بعيد عن المنزل"

أحسّت "شكرات" ببوادر الشر تّدبّر لها، فأوهمت الجميع بأنها مرهقة جدًا، وتريد أن تنام، وفى منتصف الليل جاءت والدتها "توحيدة" إلى حجرتها التي تنام فيها هي وأختها الصغرى؛ لكى تطمئن عليها وتتحدث معها حديث الأم مع ابنتها، وتتأكد أنها مثلما تقول ما زالت عذراء، فوجدتها تغطّ، فتوهمت والدتها بأنها مستغرقة في النوم، فخرجت الأم قائلة:

- الصباح رباح، أروح أنام أنا، وربنا يجيب العواقب سليمة.

تتأكد "شكرات" من أن كل من في البيت مستغرقون في النوم جميعًا، وأن والدها خرج لمقابلة عمها "عيّاد"، الذي يسكن في منطقة بعيدة ولن يعود قبل الفجر، فظلت

كل دقيقة تنظر من الشباك المطل على الشارع؛ لتتجنب مفاجأة والدها لها حينما يدخل البيت.

فدخلت حجرة والدها، وأخدت كل الأوراق الخاصة بها، ثم دخلت حجرتها، وعلى قدر ما تستطيع حمله أخذت من ملابسها.

الفصل الرابع

(الهروب)

"شكرات تخرج من البيت في غفلة من أهلها؛ حتى لا يشعر بها أحد، فكانت حريصة ألا يراها أحد، وبالفعل استطاعت أن تختفي من البلد نهائيًا، كأن الأرض انشقت وابتلعتها".

"شكرات" تخرج من البيت في غفلة من أهلها؛ حتى لا يشعر بها أحد، وكانت حريصة أيضًا ألا يراها أحد وهي تسير في الطريق ، ثم اختفت من البلد نهائيًا، ولم تذهب أو تحاول الاتصال بـ "ماضي"؛ مخافة أن يصيبه أذى من أهلها.

ذهبت "شكرات" إلى محطة مصر، وهى لا تدري إلى أين ستذهب.

بعد عودة "عودة" من مقابلة أخيه يكتشف هروب "شكرات" من البيت، كل أفراد الأسرة وأخوه والأصدقاء المقربون فقط يبحثون عنها في كل مكان.

"ماضي" لا يعلم شيئًا عن هروب "شكرات"، فهو أيضًا كان تحت نظرهم كل دقيقة ليلًا ونهارًا، وكل أفراد أسرته، حتى صديقه الوحيد "فؤاد" لم يفلت من تحت نظرهم؛ لأنهم علموا أنه هو الصديق الوحيد له، ومن المحتمل أن يكون قد ساعده في قصة هروبها.

لقد مر على اختفاء "شكرات" أكثر من أسبوع، وهم مستمرون في البحث في كل مكان، ولا أحد يعلم خارج أسرة "عودة" والمقربين له عن اختفائها أي شيء، حتى ابنة

خالتها "نوسة" لا تعلم أي شيء عنها رغم أنها سرها الأمين.

_ فات أسبوع يا عمي مش هانروح نجسّ نبض أبو شكرات ونطلبها منه زي ما قال؟

* انت بتصدق إنه ممكن يحط يده في يدنا؟ دا مش بعيد إنه هايموتها أو فعلًا موتها خلاص.

– موتها؟! مش ممكن! نفترض إنها غلطت، ليه يبقى علاج الغلط بغلط أشد منه؟ فيه طرق تانية للعقاب غير القتل، لو نفد من عقاب القانون فيه عقاب تاني أشد وأقوى، عقاب ربنا.

* اصبر يا ماضي، بكرة نشوف الدنيا فيها إيه!

_ أنا حتى يا عمي عيني مالمحتهاش خالص من يوم ما جبتهالك علشان تودّيها لأبوها.

"هكذا دار الحوار بمشاعر الفزع والقلق والخوف بين "ماضي"، وعمه "كامل"

- بص يا عودة يا خوي، لازم الناس كليّاتها تعرف إن شكرات كانت مسافرة عندينا في بلدنا في الصعيد علشان تزور عمتها

نوارة، علشان عمتها كانت متوحشاها، وهناك عربية دهستها وماتت، واندفنت في مقابر العيلة في الصعيد.

"كانت نصيحة من "عيّاد" لإنقاذ "عودة" من هذا الموقف"

"كامل" لا يهدأ له بال، فكان يتحسس الأخبار دائمًا من بعيد لبعيد، ويسأل خفية؛ ليعرف أي شيء عن "شكرات"،

فالبعض يقول له:

= ماتت في حادثه عربية في الصعيد.

والبعض الآخر:

قتلوها ومش عايزين حد يعرف علشان البوليس مايشمش خبر.

وهنا يعود "ماضي" من الماضي إلى الحاضر وهو يردد:

- حادثة! قتلوها! حادثة! قتلوها، يااه معقولة!! ياحبيبتى يا شكرات، ربنا وحده بس اللي يعلم انتي مصيرك بقى إيه.

"ماضي" ينظر في ساعته، ويأخذ سيارته ويسير بها مسرعًا؛ لأنه هامَ وقتًا كبيرًا في الذكريات التي مضت منذ عهد بعيد، وصل المحل وهناك العامل المسئول

عن البوفيه والمكتب الخاص به:

_ أستاذ ماضي، المدام اتصلت بحضرتك أكثر من مرة، وقالت لما حضرتك توصل المحل تتصل بيها ضروري.

"متصلًا بميرفت":

* كنت فين وسايبنى آكل في بعضي يا بيه؟! حتى ما اعرفش انت مشيت من البيت ليه؟

ورحت فين؟! وليه مش في المحل كل ده؟!

- خلّصتي كلامك؟ كنت مكان ما كنت، مش كل شويه حرقة دم انتِ إيه؟!

مابتزهقيش يا شيخة؟ حرام عليكِ كده، أنا بس متحمل علشان خاطر العيال مايتبهدلوش بيني وبينك.

* أنا هاسيب لك البيت، وهاروح أقعد عند أهلي أرتاح شوية، وابقى ربيهم لوحدك أما اشوف بقى هاتعرف تقعد بيهم ازاي؟

"ماضي" بعد المكالمة الهاتفية مع "ميرفت"، جلس في المحل يفكّر، ثم قرر بعد الانتهاء من العمل في المحل يذهب لبيت حماه؛ لكي يصالح "ميرفت" زوجته لتعود إلى البيت،

لأن الأبناء ليس لهم أي ذنب في أي شيء، وهم ما زالوا صغارًا، وأيضًا بينهم بنت في البيت، ولا بد من وجود الأم، وأيضًا لكي يركز في عمله، فهو إن كان عليه سيعتبرها غير موجودة في حياته، وسيحاول أن يأخذها على قدر عقلها، هذا كان كل تفكيره وهو ذاهب إلى بيت حماه، ولأن عقلة كان مشغولًا ويفكر في هذه المشكلة التي حدثت بينه وبين زوجته، وأيضًا صورة "شكرات" وسيرتها لم تفارق خياله ولا عقله.

في الشارع المؤدي إلى بيت حماه، لمح "ماضي" -عن بعد- امرأة تريد عبور الطريق وهي تجري بسرعة، ولم تهتم وهي تعبر الطريق، فضغط على مكابح السيارة فجأة؛ فخلفت على إثرها صوتًا شديدًا، هذا الصوت أرعب هذه المرأة؛ فسقطت على الأرض، فنزل "ماضي" من السيارة مسرعًا يحاول الاطمئنان عليها ويأخذ يدها ليساعدها أن تقف على قدميها

_ مين؟ ماضي؟!

* مين؟ نوسة؟!

_ أيوه.

* انتِ لسّه فاكراني بعد السنين دي كلها؟

_ طبعًا ومتابعة أخبارك العمر ده كله.

* قولي لي انتِ رايحة فين كدا؟ وليه كنتِ بتعدّي الشارع وانتِ مش واخده بالك من الطريق؟

_ دي حكاية طويلة هاقول لك عليها بعدين، لما الظروف تسمح.

* طيب ممكن أوصلك الأول ونتكلم واحنا ماشيين بالعربية؟ ها انتِ رايحة فين؟

_ عامل إيه يا ماضي مع مراتك.

* مين؟ شكرات؟!

_ هي اسمها شكرات؟!

* آآآآآآه، لأ، احكي لي كنتِ بتقولي دي حكاية طويلة وهابقى أحكي لك عليها بعدين لما الظروف تسمح.

_ أيوه أيوه، قصدي الحكاية كلها، أقصد يعني حكايتنا كلنا.

* امممممممم، ماشي ماشي، مش وقته، بس انتِ ليه كنتِ نازلة بتجري كدا وبتعدّي الشارع؟ أقصد إن الشارع كانت فيه عربيات كتيرة رايحة جاية، بجد كان فى إيه؟

إحنا معرفة قديمة من أيام الـ .....

_ قصدك شكرات، طبعًا طبعًا معرفة قديمة قوي.

"متأثرًا":

*** الله يرحم م م م م**

_ الله يرحمنا جميعًا حيين وميتين، الرحمة تجوز على الحي والميّت.

*** اللهم آمين يارب العالمين، برضه مش عايزة تقولي كنتِ نازلة الشارع بتجري ليه؟**

_ ظروف الحياة والناس.

*** الحياة فعلًا صعبة، والناس أصعب.**

_ والأصعب الخيانة!

*** الخيانة؟!**

_ ياريت تنزّلني، علشان أنا ساكنة قريب من هنا.

*** بس انتي ماقلتيش حاجة عن جملة حكايتنا كلنا دي معناها إيه؟ أكيد عندك كلام وأنا حاسس إن فيه شيء عايزة تقولي لي عليه، ومش عارفة تبدأي منين!**

_ أنا مش هاعطّلك أنا هابقى آخد رقم تليفونك من على

المحل وأكيد هاكلمك.

* انتِ عارفة المحل بتاعي؟

_ مش باقول لك أنا متابعة أخبارك كلها؟

* أخباري كلها! اممم، أخباري أنا!!!

- وأكيد هانتكلم تاني قريب.

"ماضي" يتوقف قليلًا بالسيارة، يفكر في جملة: (حكايتنا كلنا)، ثم يكمل طريقه عائدًا لمصالحة "ميرفت"، وإحضارها من منزل أبيها.

"ميرفت" تعود مع "ماضي" إلى منزلها، وتعود الحياة إلى طبيعتها وبكل ظروفها ومشاكلها كما كانت من ذي قبل.

وتمر الأيام، وتتوالى الأحداث، وفي يوم يرن جرس هاتف "ماضي" المحمول وهو في المحل، وكان الرقم غريبًا:

_ ألو! مين معايا؟

* أنا نوسة

_ أهلًا وسهلًا، أخبارك إيه؟

* الحمد لله على كل حال.

_ الحمد لله.

* مش هاطوّل عليك، انت عارف الشجرة اللي كنت أنت وشكرات بتقعدوا تحتها زمان؟

_ طبعًا فاكرها.

* طيب ممكن يوم الجمعة الساعة ٩ الصبح تقابلني هناك؟

_ حاضر

* طيب سلام بقى، أوعى تنسى أوعى يا ماضي.

"ماضي" يفكر بعد المكالمة الهاتفية مع "نوسة":

_ (يا ترى المقابلة دي علشان إيه؟! عايزة تقول لي إيه؟ ويا ترى نتيجتها هاتكون إيه؟ ويا ترى ليه قالت لي تحت الشجرة اللي كنا بنقعد تحتها زمان أنا وشكرات؟!)

الكثير من التساؤلات تدور في رأس "ماضي".

"ماضي" يأخذ سيارته ويتجه إلى المكان الذي توجد فيه الشجرة، وركن سيارته بالقرب من هذا المكان، ونزل من السيارة وهو ينظر في ساعته، فوجد الساعة التاسعة إلا دقيقتين، وظل يتقدم نحو الشجرة، ويتقدم وهو مترقب كل شيء، وينظر في حذر إلى ذلك المكان، فوجد هناك امرأة كانت منتقبة تقف تحت الشجرة، ولكن على يمين الحجر المتواجد تحت الشجرة، فجلس على هذا الحجر، وجعل ظهره

إلى هذه المرأة، ينتظر وصول "نوسة" حسب الميعاد المتفق عليه، ولكنه فوجيء بصوت المرأة التي يعطيها ظهره تحدثه:

- إزيك يا ماضي؟

"فيلتفت "ماضي" إليها، لتحدثه:

- إيه يا ماضي؟ مش عارف صوتي؟ مش عارف صوت مين اللي بيكلمك؟!

"ماضي" يستمع وينظر إليها في دهشة شديدة، ويحدث نفسه:

(مين الست دي اللي تعرف اسمي؟ وليه جاية تكلمني في المكان دا بالذات؟

- الست اللي انت مستنيها يا ماضي مش هاتيجي؛ علشان أنا جيت مكانها.

* وازاي عرفتِ إني مستني واحدة؟ وليه جيتي انتي مكانها؟

- علشان نوسة حددت المعاد والمكان هنا بناءً على اتفاقي معاها، أنا من فترة يا ماضي وأنا بافكر إني أقابلك، بس كنت خايفة من المقابلة دي، وما عارفاش تأثيره علينا هايكون إيه؟!

* لا مش معقول؟! وتختار الميعاد ويكون هنا تحت الشجرة دي بالذات! لا لا مش ممكن، مش ممكن اللي بيدور في

دمـاغي دا! مسـتحيل، لا لا مسـتحيل، اللـي مـات مـش ممكـن يرجع تاني، مش ممكن!

- أنا الماضي يا ماضي، أنـا شكرات حبيبتك، أنـا مـامُتّش زي معظم النـاس ماهي فـاكرة، دي حكايـة طويلـة قـوي يـا مـاضـي، سنين وأنـا عايشـة بعيد، عايشـة بعيد عن أهلـي، بعيد عنـك، بعيد عن روحي.

* ازاي كنتِ عايشة؟ دي نـاس قالـت فعلاً إنـك مُتِ فـي حادثـة عربية، ونـاس تانيـة قالـت إن أهلهـا قتلوهـا ومـداريين علشـان البوليس ما يشمّش خبر، مش ممكن، لا لا طيب كنـتِ عايشـة فين؟ وازاي؟

- أنـا هاحكي لك كل حاجة يا ماضي.

* ياااااااااااه! مش ممكن! أنـا مش مصدق عينيّا.

- فاكر يوم عمك كامل ما ودّاني عند أبويا؟

* أيوه أيوه فاكر طبعًا.

- أنـا في اليوم ده حسّيت بحاجة غريبة، حسيت إن ممكن فعلًا أتقتل، شوفت نظرات غريبة من أبويا؛ لأنه نبّه بشدّة على كل اللي في الدار إني ماشوفش الشـارع خـالص لحد مـا يتصرف

فـي موضـوعي، فهمـت سـاعتها إنــه ممكـن فعـلًا يقتلنــي، وحسّيت كمـان وقتهـا إن وأنـا فـي بيـت أبويـا إنسـانة غريبـة، فانتهزت فرصة إن أبويا راح يقابل عمي عيّاد...

* آه وبعدين؟

- أنا إدّعيت إني تعبانة ومرهقة قوي، فدخلت أوضتي ونمت، وأختي جات بعد شويه لقتني رُحت في النوم، راحت هي كمان نايمـة، وفـي نـص الليـل حسّيت إن أمـي دخلـت عليّـا الأوضـة، عملت نفسي رايحة قوي في النـوم، حسيت إنهـا كانـت عـايزة تـتكلم معايـا؛ لإنـي سـمعتها وهـي بتقـول الصـباح ربـاح بقـى، ودخلت نـامت، اتأكدت إن البيت كله نام، بقيت كل شوية عينيـا علـى الشـبّاك اللـي بيطـل علـى الشـارع؛ علشـان أتـابع رجـوع أبويا من عند عمي، دخلت الأوضة بتاعتـه اللـي فيهـا الأوراق أخـدت كـل الأوراق اللـي ممكـن تكـون خاصـة بيّـا، وكنـت فـي اليـوم ده انـت مـدّيني فلـوس، خرجـت بـدون ماحـد يحـس بيّـا، حتـى وأنـا فـي الشـارع بقيـت أبـص لا يكـون حـد صـاحي مـن الجيران وشايفني، وركبت تاكسي وصلني لحد محطة مصر.

الفصـــل الخـامـس

(خطأ غير مقصود)

"عاشت "شكرات" حياتها في صراع مرير وتأنيب الضمير؛ كيف تكون ابنتها من رجل، وتُكتب في الأوراق الرسمية باسم رجل آخر ليس أبوها الحقيقي؟ فلم تدرك وقتها بأنها ترتكب خطئًا كبيرًا في حق البنت أولًا، وفي حق القانون، وفي حق المجتمع ككل والعرف والدين؛ لأن الخوف كان أقوى من أي تفكير، وما ذنب الرجل الشهم الذي آواها وستر عليها؟ وما سيكون موقفه أمام أهله؟".

_ رايحة فين يا بنتي؟

* رايحة اسكندرية

_ قطر اسكندرية قدّامه خمس دقايق، يا دوب تلحقي.

* "وفعلًا قطعت تذكرة وركبت".

دا كلامي مع موظف شباك التذاكر، بعد ما وقفت على محطة القطر زي الغريبة التايهة:

(يا ترى الناس هاتقول على أهلي إيه؟! وإحنا كمان ناس صعايدة، ويا ترى كمان حبيبي ممكن يحصل له إيه؟ ممكن يحملوه مسئولية اللي حصل.)

كنت عايزة أرجع تاني ولو حتى أتقتل، بس انت ما تتأذيش بسببي.

ووصلت اسكندرية ونزلت من القطر، وأنا ما عارفاش حاجة عن أي حاجة،ولا عارفة اروح فين، قعدت ابكي، لقيت شاب في المحطة شايفني، باين من شكله انه ابن ناس ومحترم:

_ عايزة أي خدمة يا آنسة؟

* أنا غريبة مش من هنا، وسبت بيت أهلي؛ لأنهم كانوا عايزين يقتلوني علشان حبّيت إنسان وعشت معاه بدون علمهم، وأبويا كان مسجون، ولما عرف وخرج من السجن حسّيت إنه عايز ينتقم لشرفه خُفت وهربت.

_ باين عليكِ لسّه مافطرتيش، وأنا كمان لسّه مافطرتش؛ لإنى لسه نازل من القطر اللي جاي من القاهرة، تعالي فيه مطعم كويس قرّيب من هنا، نفطروا وبعدين تكملي لى بقية حكايتك.

"ورُحنا فعلًا فطرنا، أنا كنت في قمة الجوع":

_ انتِ ماتعرفيش حد في إسكندرية خالص؟ مالكيش أي قرايب؟!

* ولا عمري جيت هنا قبل كده.

- طيب خلاص تعالي، هاناخد تاكسي ونروح ناخد عربيتي من الجراج، وأعرّفك على بلدنا حبّة، وانتِ برضو بتكملي كلامك.

"حكيت له عن كل شيء، ما عدا إني حامل منك؛ لأني أنا نفسي ماكنتش اعرف".

_ انتي خايفة مني؟

* لا.

_ مرتاحة لي؟

* أيوه مرتاحة لك.

_ طيب انتِ ماعندكيش النية إنك ترجعي تاني لأهلك وتتحملي نتيجة خطئك؟ مهما إن كان! أنا عندي استعداد أساعدك في أي شيء تطلبيه، لو حتى أتدخل أو أتوسط في حل الأزمة اللي بتمري بيها ديّا بعلاقاتي أو بأي شيء، وربنا هو المعين طالما النيه خير.

* رجوعي معناه الموت، أنا عارفة كدا كويس، وإحساسي بيأكد لي كدا.

_ فكري مرة واتنين وتلاتة؛ لأن قرارك هايكون قرار مصيري.

* لو حاسس أني مسببة لك حرج أو هاسبّب لك حرج أناااا...

_ ماتكمّليش، تعالي معايا البيت، أنا هاعرّفك بالحاجة "عليّة" أمي، وأخواتي البنات، أنا أخوهم وأبوهم في نفس الوقت، أنا اسمي "حاتم سليم المنسي"، كافحت أنا والحاجة أمي وكملنا المسيرة؛ علشان نربى أخواتي البنات، ويخلصوا تعليمهم بعد وفاة والدي -الله يرحمه-، اللي كان بيشتغل في مجال المقاولات، كان ليّا أخت أكبر مني متجوزة، بس والدي -الله يرحمه- كان موجود وهو اللي جوّزها.

* الله يرحمه ويحسن إليه، بس ممكن والدتك تقول لك مين دي اللي انت جايبها معاك هنا في البيت؟

_ أنا هاقول لهم دي مراتي، اتعرفت عليها في القاهرة واتجوزتها من شهر؛ علشان كان فيه ظروف صعبة وخاصة جدًا كنتِ بتمري بيها، وخصوصًا أنا بقالي شهر ماروحتش بيت العيلة في الإسكندرية، وهابقى أألف لهم أي قصة وخلاص، معلش ابقي سامحيني،

أنا والدتي ست طيبة جدًا جدًا، هاتشوفيها ما تقلقيش، وكمان هاقول لها والدتك متوفيّة من شهرين، وعايشة لوحدك، ومالكيش غير أخ كبير مسافر أوروبا وأخباره مقطوعة، ووالدك -الله يرحمه- كان على خلاف دايمًا مع عيلته في الصعيد وساب لهم البلد قبل ما يموت بكام سنة.

"رُحت معاه عند أهله، واتعرفت على الحاجة والدته وأخواته وقعدتت معاهم

في البيت معززة مكرمة، وبعد أسبوع، أعراض الحمل بدأت تظهر عليَّ

وكأنها شيء طبيعي؛ لأني في نظرهم أنا مرات ابنهم، وما كنتش أعرف كيف أصارحهم بالحمل!

كانت سماحة أخلاقه العالية وجدعنته وشهامته سبب في تشجيعي اني أصارحه"

_ ما تحمليش هم، أنا جنبك وربنا هايسترها إن شاء الله.

"خلال شهور الحمل، وبرغم مشاغله الكتيرة، إنه كان بيشتغل في مجال المقاولات زي والده -رحمة الله عليه-، وبالرغم من طبيعة عمله اللي بتحتاج للسفر والتنقل بالعربية في كل مكان باستمرار، كان بيتابعني وكل طلباتي مجابة، وأكتر مما أطلب كمان، ولما جِه معاد الولادة وولدت البنت وسميتها "حنين"، وماعارفاش ليه سميتها حنين؟ يمكن السبب هو حنيني لك،

عشت في صراع مرير، وتأنيب الضمير، إزاي البنت تبقى بنت واحد، وتتكتب باسم واحد تاني خالص مش هو أبوها الحقيقي؟

ما عرفتش ساعتها إني برتكب خطأ كبير في حق البنت أولاً، وفي حق القانون وفي حق المجتمع كله، والعرف والدين،

لكن الخوف كان أقوى من أي تفكير، وكمان إيه ذنب الراجل الشهم اللي آواني وستر عليّا؟

هايكون موقفه إيه قدام أهله اللي هما عارفين إني زوجته والبنت بنته؟! هو كمان كان فاكرإن الحياة هاتستمر على طول من غير أي شيء يجيب مشاكل فيما بعد، وهو لسه مازال الزوج الصوري، هنا بس اكتشف إن شهامته وقعته بين نارين؛ هل يصارح أمه؟

طيب وازاي هايصارحها؟ وأنا عايشة معاه في أوضة واحدة؟ لكننا زي الأخوات؟ تعبنا من كتر التفكير في الأمر دا، واستمر الحال على الوضع دا لمدة سنتين، وفي يوم عرض عليّا حاتم الزواج الشرعي عند مأذون؛ لإنه بقى متعلق بيّا قوي، وبـ حنين، وبالفعل رُحنا في منطقة بعيدة، وكتب عليّا وعاشرني معاشرة الأزواج،

بعد ٤ سنين خلفت منه ولد، سميته محمد، وبعده بـ سنتين ربنا رزقنا ببنت سميتها شروق،

استمرت الحياة بينا طبيعية لمدة ١٢ سنة، وبعدها جاله كانسر في المخ، بدأ يتعالج علاج كيماوي، وكان في التوقيت

دا العلاج مكلف جدًا، فعرضت عليه إنه يسافر ويتعالج برّا طالما مصاريف بمصاريف صحته وحياته أغلى وأهم، ولكنه أصرّ إنه يتعالج في مصر،

وفي فترة مرضه كان قلقه على الأولاد بيزيد، كان خايف إن حد من عيلته يطمع فيهم وهما لسّه صغيرين، وبالفعل أمّنهم وكتب عمارة باسم محمد وشركة وحق الإدارة، وكتب كمان لكل بنت عمارة، وحط باسم كل بنت مبلغ كبير في البنك؛ حنين زي شروق من غير أي تفرقة، كان حبه لـ "حنين" كبير جدًا، بعدها بشهور قليلة حالته الصحية اتدهورت، لحد ما توفاه الله،

هي ديّا حكايتي كلها يا ماضي من ساعة ما سبت البلد وشلت الحِمل لوحدي، من بعد ما انتقل لرحمة مولاه، تعبت قوي في تربية الأولاد، بالإضافة إلى الحاجة "علية" أمه -الله يشفيها- بقت ست مسنة قوي ومريضة، وحبي ليها أكبر وأكتر من أمي الحقيقية؛ لأن مافيش أطيب ولا أحن منها في العالم كله، وعندي استعداد أفديها بنور عيني؛ لإني كان عندي إحساس إنها حاسّة بكل شيء في حياتنا،

بعد كدا يا ماضي بدأوا أخواته البنات معاملتهم ليّا تبقي جافة، كأني أنا اللي كنت السبب في موت أخوهم، وكمان خلّوا مسئولية أمهم تبقى عليّا في كل شيء؛ بحجة إن أخوهم ساب ليّا فلوس كتيرة."

- أنا لسّه مش مصدق إنك عايشة، كنت خلاص أيقنت إني مش هاشوفك تاني، فعلًا مافيش حاجة بعيدة على ربنا، أنا كان عذاب الضمير بيقتلني ليل نهار، وإن أنا السبب في اللي حصل ليكِ دا كله، احكي لي يا شكرات كل شيء، عايز أعرف كل حاجه عنك لحد دلوقتي.

* أنا عشت سنين سودا مع أخواته البنات ، وكمان من قبل وفاة المرحوم حاتم بسنتين عرفت أن أبويا وأخويا اتقتلوا لما تم اقتحام السجون أيام " ثورة ٢٥ يناير " ، لأني بعد ما أتجوزت المرحوم حاتم بفترة عرفت إن أبويا دخل السجن تانى في تخطيط وقتل رجلين من ولاد أبو عطية مع بعض رجال من العائلة ، وعددهم تخطى العشرين راجل كلهم كانوا طفشنين في الجبل ، والبوليس قبض عليهم كلهم في مكان الجريمة ، وهم بيتبادلوا إطلاق النار ، وكدا كدا اخويا خميس

كان محبوس على ذمة قضايا أخرى كتيرة وعشت في حزن وهّم وغربة ، أيوه غربة البعد عن الأهل والحبيب ، اللي كان حبى ليه نسّاني إن بنت ، وكلام الناس مبيرحمش ، صدقني يا ماضي كنت قافلة على نفسي ،. علشان ظروفي اللي متلغبطة أخر لغبطة ، ومتعقدة أخر تعقيد اللي في الدنيا كنت خايفه حد يتعرّف عليّا ، ويعرف حكايتي من أولها لأخرها ، وتبقى كارثة بكل المقاييس لكل الأطراف .

- أنا كمان يا شكرات، كنت باموت كل يوم لما كنت فاكر إنك موتي بسببي، أو أحس إني اتخليت عنك و.....

* وأنا كمان كنت باموت كل دقيقة، ولما أبويا وأخويا اتقتلوا والعملية اتنست خلاص، فكّرت أروح أطمّن على أمي وأخواتي، وفعلًا اتنكّرت في لبس النقاب وروحت، وماحدّش عرفني، واطمّنت عليهم وطمّنتهم عليّا، وحكيت لهم حكايتي كلها من أولها لآخرها؛ لأن الفترة اللي قبل وفاة أبويا وأخويا ماحدّش منهم كان يعرف أي شيء عني، حتى نوسة نفسها، الكل صدق إني فعلًا مُتّ سواء بقى بفعل فاعل، أو إني انتحرت، ولما أخدت رقم التليفون بتاع بنت خالتي نوسة، ساعتها بدأت أطمّن عليك وأعرف كل أخبارك، أما حكاية

"حنين" بنتنا دي حكاية لوحدها خالص؛ ظروفها، واسمها اللي مش حقيقي كان مسبب ليّا حاجات كتيرة، منها القلق والخوف، وهَم نايمة صاحية بيه، وكمان مش معقولة هاتعيش عمرها كله من غير ما تعرف مين أبوها الحقيقي وتشوفه! وكمان أبوها هايبقى موجود على وشّ الدنيا وهو مايعرفش إن عنده بنت كبرت وبقت في الجامعة، وكلها حاجة بسيطة وتتخرج من كلية الطب.

- كلميني عنها.

* حنين بنتنا عندها شخصية قوية، ذكية جدًا، وعندها قوة تحمل وصبر، وبتعتمد دايمًا على أسلوب المناقشة والإقناع، وبتحب لغة الحوار.

- ما شاء الله.

* هى دايمًا بتسألني أسئلة غريبة قوي؛ زي: ليه أنا بيضا قوي كدا وعيني ملونة وشعري أصفر وفرعة رغم إن حضرتك يا ماما قحماوية وقصيرة شوية؟!

وما انكرش إن تقاطيعك صغيرة وعسولة ودمك شربات، وبابا كمان بشرته سمرا وشعره مجعد وخشن ودمه خفيف، حتى

جدتي ربنا يطول عمرها، وعمّاتي بشرتهم كلهم سمرا، مش باقول لك دكتورة بقى؟!

ساعات كتيرة تضحك معايا وتقول لي: هو انتِ يا ماما كنتِ بتتوحّمي على مين من نجمات السينما؟!

أفضل اضحك يا ماضي لحد ما عيني تدمع، فعلًا يا ماضي البنت كلها أنت صورة طبق الأصل، -سبحان الله- لو ماشية جنبك في الشارع الناس على طول هاتعرف إنها بنتك، بس اللي محزّنني وقاهرنى يا ماضي إني دايمًا أحس إن في حاجة ناقصاها، وهي كمان عندها نفس الإحساس بس ما بتتكلمش.

- ياااه.. أنا ليّا بنت زي القمر كدا؟ وكمان متفوّقة في دراستها!

ما شاء الله .. ما شاء الله .. فعلًا كدا حنين يا شكرات تبقى حنين ماضي، وحنين الماضي اللي رجعني للحياة من تاني.

* أنا عايزاك تشوفها؛ علشان تتأكد، والله هاتحسّها بقلبك، وكمان تشوف اخواتها، أنا أمي وأخواتي بييجوا يزورونى مرتين، أو على الأقل مرة كل شهر، بعد ما أبويا وأخويا

اتقتلوا، وعرفوا كل حاجة عني، بقى في بيننا ود، وكل شهر أنا كمان على الأقل مرة بانزل القاهرة، وساعات بنت خالتي نوسة تيجي معاهم أو لوحدها، انت ممكن تيجي مرة معاهم طبيعي على أساس إنك خال الأولاد، وكنت مسافر، أمي كذا مرة كانت عايزة تحكي لك كل حاجة، بس هي قالت إن أنا اللي لازم أحكي لك وأفهمك كل اللي حصل؛ علشان الدنيا ماتتلخبطش.

- أيوا يا شكرات، بس لما يكتشفوا إني مش خالها، دا حتى الشكل واللهجة ممكن يبقى فيها تعليق منهم، وكمان ممكن حنين تكتشف الشبه الكبير اللي بيني وبينها زي مابتقولي إنها شبهي جدًا.

* ما هو ده كويس قوي؛ علشان يبقى فيه حجة وأقولّها إنك طالعة شكل خالك بالظبط.

- طيب كده العملية ممكن تتلغبط بزيادة، أكتر ما هي متلغبطة ومش عارفين

نلاقي لها حل، ازاي أنا هاتحمّل تقول لي ياخالي؟ وأنا عارف إنها بنتي.

* أنـا عـايزة أشـوف إحساسـها إيـه لمـا تشـوفك؟ دا ممكـن يساعدني بعد كدا لما أحكي ليها الحكاية بتاعتنا ديه!

- ماحدش سألك لما أهلك بدأوا ييجوا يزوروكي! وزمـان كـان المرحوم قايل إن ولدتك متوفية وأخوكِ مسافر أوروبا!

* مش أنا قلت لك بعد وفـاة المرحـوم بـدأوا يعـاملوني بقسـوة؟ ويتغمزوا، وينبطوا بالكلام، ويتوشوشوا زي ما يكون حاسين إن فيه حاجة غامضة، مش عارفينهـا؛ بمعنـى اشمعنا دلـوقتي ظهر ليهـا أهل؟! كـانوا فـين مـن زمـان وحـاتم أخونـا عـايش! وهي دي الست اللي قالوا عليها متوفية؟ -على أمي يعني-،

ياااه.. اليوم عدّى، فين لما كنا قاعدين الصبح تحت الشجرة، واتمشينا، وقعدنا في أماكن كتيرة، كـان لينـا فيهـا ذكرى مـع بعـض، وكمـان أنـا لسّـه هـاروح لأمـي، وعـايزه ألحـق أروّح النـهار ده اسكندرية؛ علشان حنين تعبانه شوية.

- مالها حنين؟ سلامتها بعد الشر.

* شـوفت يـا ماضـي لهفتـك دي عليهـا؟! أكبـر دليـل علـى إنهـا بنتك، رغم إنـك لسّـه ماشـوفتهاش، ولمـا تشـوفها صـعب إنـك تسيبها.

- طيب قولي لي أطمّن عليكم ازاي؟

* هادّيلك أرقام التليفونات بتاعتنا، وأنا هارتّب مع أهلي إزاي تيجي معاهم زيارة علشان تشوفني، قصدي تشوف حنين طبيعي.

- يلّا أوصلك لأقرب مكان لبيت والدتك.

* أشكرك، بس هاتعبك معايا كدا.

- هو فيه بيننا شكر؟ انتي ما تعرفيش أنا فرحان النهار ده قد إيه؟ ومش عايز أسيبك خالص، ولا أخليكي تمشي، بس أنا عارف الظروف.

* وأنا كمان بس غصب عني، أنا ما صدقت التقينا تاني.

"وافترقا على أمل اللقاء مرة أخرى"

ظل "ماضي" طوال اليوم في حالة لا توصف من الذهول وعدم التوقّع، لم يكن يتخيل بعد كل هذه السنوات التي مضت من العمر ظهور "شكرات" حبيبته من جديد، وعلاوة على ذلك شعوره بارتياح شديد، كأنه كان يحمل فوق صدره تلالًا من الحجارة بسبب إحساسه بالذنب وتأنيب الضمير.

"ماضي" يجلس في بيت العائلة مع أخواته البنات، بعد أن اتصل بهن؛ ليحكي لهن عن المفاجآت التي حدثت؛ أولها هو

ظهور "شكرات" من جديد بعد أن ظن الجميع أنها قتلت، وما رأي كل واحدة منهن في هذه الحكاية الغريبة، وماذا سيكون الحل مع ابنته واسمها مكتوبة على اسم رجل آخر وليس اسمه؟

_ دي نتيجة غلط زمان يا ماضي، ما تزعلش، أنا ياما حذرتك زمان، وبعدين إزاي هي قدرت تخبي عليك العمر دا كله؟!

افرض لا قدر الله كنت اتوفيت يبقى كنت هاتعيش وتموت من غير ما تعرف حتى إن ليك بنت في الدنيا؟!

وعلى افتراض إن كلامها اللي حكته لك دا حقيقي.

- انتِ عندك شك؟ يعنى إيه هي بتكدب عليّا؟ مش معقولة هاتيجي تقابلني من الإسكندرية مخصوص علشان تقول لي كدا؟! طيب وإحساسي اللي بيقول فعلًا إنها بنتي؟!

_ إزاي حاسس إذا كنت انت لسّه ما شوفتهاش أصلًا؟! دا مجرد كلام هي بتقوله لك.

"دار هذا الحوار بينه وبين "أمل"، لتلحقهما أخته الكبرى في البنات "سحر":

~ مش جايز زي ما حكت لك إن لما جوزها مات بقت لوحدها، وأخوات جوزها البنات بيعاملوها وحش ومضايقينها

في حياتها؟ نفترض أنهم مستكترين عليها النعمة اللي هي فيها، فهي عايزة راجل يحميها منهم، فراحت مألفة القصة دي كلها علشان تقرّبك ليها وتتجوزك، وفي الآخر تقول لك إن علشان بتحبك قلت لك كدا يعني زي الأفلام.

* يا جماعة وإحساسي دا أعمل فيه إيه؟

~ لازم أول حاجة تعملها إنك تتأكد من إنها بنتك، تعمل تحليل زي اللي بيقولوا عليه دا، دا طبعًا بعد لما تشوفها ويبقى فيه حوار بينكم.

* إزاي هاتأكد والبنت لسّه ماتعرفش أي حاجة عن الحكاية الغريبة دي؟ وهي عارفة ومتأكدة إن أبوها مات، إزاي هاتقدر تفتح الموضوع دا من أصله؟ دي البنت خلاص قرّبت تخلص جامعة.

ترد "نورا" قائلة:

= دي حتى لو هي عرفت إنك أبوها فعلًا سواء بقى بالإحساس أو بالتحليل دا، إزاي هايتغير اسمها بعد العمر دا كله؟ والشهادات اللي حصلت في مراحل التعليم دي كلها

هاتتغير إزاي؟ مش عارفه!! دي أكيد هاتبقى صعبة قوي ومعقدة جدًا.

* كمان أنا مش عارف هاشوفها إزاي؟! وهي عايزة تعرّفني على الأولاد على أساس إني خالهم، وإن أنا اللي كنت مسافر برة، رجعت بلدي تاني وخلاص، علشان لما أموت أندفن فيها.

_ إزاي؟! ولما الحكاية تتعرف البنت حتقول إيه؟ كدبتوا عليها مرتين؟! طيب وأهل الأولاد هايقولوا إيه؟ ولو حد عرف إنك رُحت هناك واتعَرف بعد كدا إنك مش أخو شكرات، الناس هاتقول إيه؟

ترد سحر:

~ هايقولوا طبعًا إن في حاجة مش كويسة بينهم من زمان، وكانوا على علاقة ببعض غير مشروعة.

* ياه!! كل ده؟!

"الكل في صوت واحد":

أيوه، هو انت فاكر إيه؟ دي الدنيا هاتتلغبط أكتر وأكتر.

نورا:

= لازم يـا ماضـي تفكّـر كـويس، وتسـأل المتخصصـين فـي القـانون، وتسـأل فـي الأزهـر الشـريف "المشـايخ بتـوع الفتوى"؛ علشان دي أعراض ومستقبل بنت.

أمل ترد:

_ وكمان الموضوع دا يا جماعة، هايمسّ شرف الإنسان اللي اتجوزتـه، وماحـدش يعـرف السـر اللـي راح وانـدفن معـاه إلا ربنا -سبحانه وتعالى-، وهمّا الإتنين.

*** دماغي خلاص هاتنفجر من كتر التفكير يا جماعة والله .**

ترد سحر:

~ عارفين يا جماعة أنا رأيي إيه؟

*** إيه يا سحر؟ قولي.**

~ هو صعب، بس ممكن الله أعلم يكون هو الحل.

الكل:

 # إيه يا سحر؟ قولي وخلّصينا من القلق والحيرة اللـي احنـا فيها دي.

~ هما حلين؛ الأول:

إنه فعلًا يتجوّزها، ولما يقرّب منهم ومع الوقت واحدة واحدة تكون البنت إحساسها بقى متملكها، وهايكون فيه شعور غريب بينهم، فساعتها من السهل تعرف الحقيقة أو تتقبلها.

* صعب الحل دا؛ علشان بيتي وولادي، ممكن أحل مشكلة من ناحية وأعمل مشكلة من ناحية ثانية.

~طيب نخلّيه دا آخر حل، لما العملية تبقى مالهاش حل تاني.

* طيب يا سحر، والحل التاني إيه؟ قولي لنا عليه.

- مافيش يا جماعة أي حاجة تقول إن البنت دي بنت ماضي، لا فيه أوراق، ولا حتى شهود تقول إنك أبو البنت، يعني البنت أمها كانت حامل فيها، وتقريبًا خدت كل شهور الحمل في بيت أهل جوزها، يعني كمان هي مش هاتقدر ترفع قضية إثبات نسب؛ لأن المجتمع مش هايرحمها، حتى القانون كمان هايبقى صعب بالنسبة لها؛ لأنها في الحالة دي هاتعتبر أخفت الحقيقة عليك سنين طويلة، وبالتالي انت مش عليك أي لوم من ناحية البنت، لكن لو العاطفة غالبة عليك قوي، يبقى مافيش غير الحل الأولاني اللي قلت عليه، تتحمل انت بقى، وتمسك العصاية من النص وتحاول تتجوزها، وهي تحاول

تقنع ولادها إنها محتاجة راجل يسندها، دا من وجهة نظري ما اعرفش إذا كان ينفع ولا لا؟!

نورا:

= بص يا ماضي، حاول تاخد رأي ناس كبار تكون واثق فيهم، وتحكي لهم على الموضوع.

* مش عارف يا جماعة أقول إيه؟ وأعمل إيه؟ نسيب الأيام ونشوفها هاتاخدنا لفين! وربنا يدبرها من عنده.

الكل:

يارب يا أخويا، بس انت خلي بالك من بيتك وولادك، إحنا كمان عارفين إن مرفت مراتك مش هاتسكت لو عرفت موضوع زي دا، مش هاتدّي لك فرصة تفكر؛ لإن غيرتها حاجة صعبة جدًا، إحنا عارفين كل ست بتغير على جوزها، بس دي حاجة تانية خالص ماشوفنهاش قبل كدا، غيرتها غيرة تخنق بجد.

"ميرفت تتصل بماضي على الهاتف المحمول":

* أيوه، إيه؟!

أحمد عنده سخونية من امتى؟

إيه؟! مش بتنزل؟

طيب طيب، أنا جاي حالًا.

الأخوات:

ما له أحمد؟ ألف سلامة.

* سخن شوية، والحرارة مش بتنزل.

_ طيب طمّنا عليه أول ما توصل البيت ضروري يا ماضي.

"وفي نفس واحد":

أدينا جِبنا في سيرة القط لاقينا صوته في تليفونك بينط.

"ماضي" يخرج من بيت العائلة مسرعًا، ويأخذ سيارته ويسير بها بسرعة جنونية متجهًا إلى بيته؛ للاطمئنان على ابنه "أحمد"، ولكنه عندما وصل إلى بيته يجد "أحمد" بصحة جيدة ويلعب بالألعاب خاصة به.

_ لسّه بدري يا أستاذ، كل دا قاعد انت واخواتك ما فكرتش تسأل علينا؟ ما احنا خلاص مابقيناش على بالك خالص.

* رجعنا تاني للخناق والعكننة وحرقة الدم، فيها إيه لما أقعد معاهم واطمّن عليهم؟ وأشوف مصالحهم وأحل مشاكلهم؟

_ طيب ما تشوف مشاكلنا احنا أهم، على الأقل تكسب فينا ثواب، هو احنا مش نخصك برضه ولا إيه؟!!!

* هو انتوا ناقصكم إيه؟ كل طلباتكم متوفّرة وبزيادة كمان، مش مخلّي على جهدي جهد.

_ ناقصنا انت، مش عارفين نشوفك خالص، مش عارفين نقعد معاك حبة زي باقي خلق الله، ونتكلم.

* انتِ كل حاجة بتدققي فيها، وكلامك انتِ هو بس اللي يتسمع، نسيتي يا هانم إن أنا راجل البيت ولا إيه؟

_ تقصد تقول إن أنا اللي مش باخلّيك تحب البيت وتقعد فيه؟ أنا اللي مطفشاك على طول؟ قول قول، طلع اللي جوّاك، أنا سامعاك.

* انتِ.. أنا، مش مهم دلوقتي مين فينا السبب، أنا جاي تعبان، ومش قادر أتكلم، الواحد فيه اللي مكفّيه.

"يدخل "ماضي" حجرته لينام، و"ميرفت" في قمة الغيظ؛ لأنه ظل طوال النهار خارج البيت مع أخواته البنات".

الفصل السادس

(الحنين إلى الحب)

"كل تصرفات "شكرات" تدل على أنها ما زالت تحب "ماضي"، رغم مرور كل هذه السنوات الطويلة، فهى تقول لابنة خالتها: لو عشت ألف سنة سيظل حب "ماضي" في قلبي؛ فهو سر دقاته، ومهما أرى بسبب حبه فـ "ماضي" هو الهواء النقي الذي أتنفسه" .

"شكرات" وصلت إلى بيت أهلها بعد ما أوصلها "ماضي" لأقرب مكان، نزلت هي من السيارة وأكملت السير على قدميها؛ لكي تمنع ألسنة الناس من التحدث عنها، أو التعرف على شخصيتها، فوجدت كل من في البيت جميعًا في انتظارها وهم في غاية القلق، وعلى وجه التحديد ابنة خالتها "نوسة"؛ لأن "شكرات" كانت قد أبلغتهم أنها في مساء يوم الجمعة ستصل إليهم، لأنها خططت لقضاء يوم الجمعة كاملًا مع "ماضي" -حبها القديم-، والذي اختفت عنه منذ أكثر من عشرين عامًا قد مضت، جلست معهم دقائق قليلة، ولكن كانت هناك نظرات متبادلة بين "نوسة" وبينها؛ لأنها كانت متلهّفة لأن تعرف نتيجة اللقاء.

* تعالى يا نوسة عايزاكِ شوية.

_ طيب يا جماعة خمسة كدا، بعد إذنكم.

"شكرات" تدخل غرفة أختها "تهاني"

* مش مصدقة يا بت يا نوسة إني شوفت ماضي تاني، شوفت حب عمري، حسّيت إني قدرت أخد نفسي، وروحي اتردّت فيّا تاني، وحسيت كمان إني اتولدت من جديد.

_ يااااه! لسّه بتحبيه بعد العمر دا كله يا بت يا شكرات؟ ياه على الحب وسنينه!

* ولو عشت ألف سنة يا نوسة هافضل برضه كدا أحبه مهما يحصل، ومهما أشوف بسبب حبه، انتِ عارفه يا بت يانوسة! حبه دا هو الحياة، والقرب منه هي الجنة، أنا بس اللي حسيتها وعشت فيها.

_ بس انتِ حرمتيه كتير، سنين وسنين، حرمتيه منك، حرمتيه من بنته، وكمان أنا عارفة إنه اتعرض لحاجات كتيرة مع أبوكِ - الله يرحمه-، انتِ ماشوفتيش هو قد إيه عاش في قلق، دا حتى أنا عرفت إنه اتجوز بعد ما اختفيتِ بسنين، -هو قال لي لما اتقابلنا- مش عارفة بكام سنة، علشان حكى لي أن أولاده كلهم لسه أطفال.

* ما حكاش ليكِ يا بت على الست بتاعته؟ وقالك إنها حلوة، مش كدا؟ قال لك؟ ردي عليا يا بت قولي لي، قال لك حلوة مش كدة؟

_ إيه؟ هانبدأ نغير عليه من دلوقتي؟ انتي شاغلة دماغك بإيه؟ انتِ لسّه ما تعرفيش دنيته فيها إيه، وإيه مستخبي، هو حكى لك حاجة عن حياته النهار ده؟

* حاجات بسيطة جدًا جدًا.

_ يا ترى هو دلوقتي بيفكر في القصة اللي انتِ حكيتيها له ولا لأ؟ طيب، يا ترى هو مصدق! ولا عنده شك؟ ويا ترى دماغه دلوقتي عمّالة تودّي وتجيب؟ ولّا سمع من هنا وفوّت من هنا؟ وكمان هايقدر يحكي الموضوع دا لو هو مهتم بيه؟! واللي هايحكي له دا هايصدّق الحكاية دي كلها؟

* يااه! كل دا يا نوسة ماضي هايفكّر فيه أو هايشيله جواه وهايدوّر كمان في دماغه؟ لكن صدقيني أنا لو الإحساس دا موجود جواه هايوفّر كل الحاجات دي اللي بتتكلمى فيها. "إحساس إنه أبوها"

_ دا احنا كمان مافكّرناش في حنين، يا ترى لما تعرف هاتقول إيه؟ هاتفتكر إيه؟ وهاتقول عليكِ إيه؟ إزاي بعد العمر دا كله تتفاجيء بموضوع زي دا؟ ماهوش بالأمر الهين، دا لازم يتعمل له ألف مليون حساب قبل ما حد يعرف من عيلة جوزك حاتم -الله يرحمه-، يمكن أهم من إن بنتك تعرف أو ما تعرفش؛ علشان كل خطوة في الطريق دا هاتكلّفك كتير؛ هاتكلفك سمعتك وسمعة بناتك، وابنك محمد لما يبقى

راجل العيلة ، الناس هاتقول على أمه إيه؟

* أنا ما فكّرتش في كل دا، كان كل اللي في بالي بس إن ماضي يعرف إن عنده بنت، وحقه يعرف، لكن أنا مش عارفة بجد أعمل إيه؟ أي استعجال وأي خطوة مش معمول حسابها هاتكلفنا كتير فعلًا.

_ ربنا يدبرها من عنده، أسيبك أنا بقى؛ علشان اتأخرت على الدنجوان اللي انا متجوزاه، دا ليل ونهار ماسك الموبايل، مش بيبطل رغي ومش عارفة بيكلم مين؟!

* خدي بالك يا اختي منه، وحطّيه تحت الملاحظة، فاهماني؟ ماحدش له أمان دلوقتي، والبنات بقوا حاجة صعبة، والستات -وحياتك انتِ- بقوا همّا كمان حاجة صعبة.

"حنين" تنال إعجاب المعيد في قسم الجراحة؛ لقمة أدبها وأخلاقها العالية، وأيضًا لتفوقها في تخصص الجراحة العامة، زميلاتها يلاحظن النظرات المتبادلة بينهما أثناء الشرح في المحاضرات، وفي الجانب العملي بأحد أقسام الجراحة بالمستشفى.

زميلة (١):

- شوفتوا يا بنات الدكتور عمر فؤاد ماكانش على بعضه النهار ده وهو بيشرح في السيكشن!

زميلة (٢):

_ ليه؟ قولي قولي هه ليه؟

زميلة (١):

- عينيه مانزلتش من على حنين خالص، وحنين معظم الوقت كانت سرحانه وهيمانة يا بنات.

زميلة (٣):

- **يا ترى في إيه هه؟! هو حصل ولا إيه؟!**

الزميلات جميعًا:

 # هأ هأ هأ. (يضحكن بصوت عالٍ.)

"حنين تدخل عليهن، وهي تتسائل:

*** يا ترى بتنمّوا على مين؟ يا نمّامين انتوا!**

زميلة (١):

- عليك انت يا قمر.

*** عليّا أنا؟ ليه؟ عملت إيه؟**

زميلة (٢):

_ كل خير يا موز انت يا منور الدنيا يا قمر.

زميلة (٣):

• لا وإيه يا بنات، لايقين على بعض تمام، بصراحة الدكتور عمر حليوه وقيمة وسيما

زميلة (٤):

~ وكمان ابن ناس ومن عيلة كبيرة هنا في إسكندرية، ووالده صاحب شركة الفؤاد للبناء والتعمير المعروفة.

* انتوا يا جماعة مزوّدينها قوي، ولا فيه حاجة من دي خالص، أنا مافيش في دماغي غير البكالوريوس وبس.

"طبعًا هي تقول ذلك فقط نتيجة الحرج منهن"

زميلة (١):

- كلها أيام يا قمر ونخلص البكالوريوس، مش دي حجتك؟!

* أنا لسّه هاعمل دراسات عُليا، ولما أخلصها أبقى أفكر في اللي اسمه إيه دا الحب والجواز كمان.

زميلة (٢):

_ مش لازم تحبي، يكفى الإعجاب، علشان تتجوزي، الحب اللي بييجي بعد الجواز، أأمن وبيعمّر يا قمر.

* طب يلّا يا دكتورة منك ليها علشان محاضرة الدكتور يوسف هاتبدأ.

اليوم هو يوم إجازة "ماضي" الأسبوعية من المحل، وعادة يستيقظ من النوم متأخرًا، ولكنه اليوم استيقظ مبكرًا إثر ضوضاء صادرة من الأولاد، يتشاجرون مع بعضهم البعض بسبب مشاهدة قنوات التلفزيون، "نور" و "ملك" تريدان مشاهدة برامج الرسوم المتحركة، و "أحمد" يريد مشاهدة مباراة لكرة القدم؛ لأنه يعشق مشاهدة مباريات كرة القدم، وأيضًا يعشق ممارستها، وقد اشترك له والده في نادٍ كبير؛ لأنه لاحظ أنه موهوب في لعبة كرة القدم.

* فين مامتكم؟

"ماضي" يدخل -البلكونة-، يجد "ميرفت" ممسكة بالهاتف المحمول، تلعب لعبة من الألعاب التي على الهاتف:

* مانمتيش في أوضتنا امبارح ليه؟

_ ماعرفتش أنام طول الليل منك؛ لأنك عمّال تتقلب يمين وشمال، وزي ما تكون بتكلم حد، لكن كنت فعلًا بتكلم نفسك

وأنت نايم، أيوه كنت بتكلم نفسك، وعمّال كمان تقول: مش ممكن! مش معقول! انتِ لسّه عايشة؟ انتي كنتي فين؟ وعمّال تقول هي اسمها إيه؟

لكن اللي أنا متأكدة منه إنك كنت بتحلم بواحدة ست.

* أنا كنت بتكلم وأنا نايم؟! معقولة؟! ازاي ده؟! يبقى كنت مرهق قوي بقى من امبارح.

_ وكنت مرهق قوي امبارح ليه؟
هو انت كنت فين امبارح؟
هو انت ما كنتش في الشغل؟
ولا كنت مقضي اليوم كله مع أخواتك وسايب شغلك،
حتى ما اتصلتش تطمّن عليّا؟
كمان ما هانش عليك تطمّن على ولادك زي ما انت معوّدهم تتصل بيهم مرتين تلاتة وانت في الشغل،

ودا دليل إنك مشغول ومش فاضي تسأل على ولادك،

مش كدا ولا إيه؟
مش تقول لي مرهق!

كنت فين يا ماضي امبارح قبل ما تروح تقابل أخواتك؟
انت راجع بالليل، ولو ماكنتش اتصلت بيك وقلت لك إن ابنك سخن، كنت سهرت معاهم للصبح، زي ما حصل من يومين، فاكر ولا ناسي؟

*** لا فاكـر، زي ما انتِ فاكـرة كل حاجة بالحرف،**
مش عايـزة تفهمي إن فيه ظروف بتتحكم في الواحد،
والحياة مش هاتبقى ماشية على نمط واحد كدا دايمًا،
ولا هاتمشي زي ما انتِ عايزة كدا،

لازم تعدّلي من أسلوبك معايا يا هانم،

أسلوبك الناشف دا ماحدّش يتحمله،

وأنا طول عمري متحمله،

ولازم تعرفي إن دوام الحال من المحال،

أنا باخلّص شغلي وبارجع على البيت،

ونادر جدًا لما باروح لإخواتي البنات،

ونادر برضه لما باسهر حبّة مع صديق عمري فؤاد.

_ طول عمرك مابتحبش تطلّع نفسك غلطان،

ولا بتحب حد يحاسبك ويقول لك انت جاي منين ولا رايح فين،

أنا فيه حاجات كتيرة ما اعرفهاش عنك.

*** انتِ دايمًا كدا بتغني وتردي على نفسك،**

ايه لازمة الكلام دا على الصبح والمحاضرة الطويلة العريضة دي؟

احنا لسا اصطبحنا؟

ثم أنا دايمًا باعمل الصح،

وكمان انتِ إزاي تكلميني بالطريقة دي؟

شكلنا هايكون ايه قدام الأولاد؟

_ شكلك انت ايه؟

انت اللي أمورك كلها غريبة وتصرفاتك كمان بقت عجيبة!!!

*** جاية بعد سنين الجواز دي كلها وبتقولي لي تصرفاتك عجيبة؟**

_ أيوه.. تملي كدا قاعد ساكت، وبتحب تسهر قدام التلفزيون لوحدك، دا أنا بازهق وأقوم أنام، وكلامك يادوب الجواب على

قد السؤال، زي ما يكون بتستخسره فينا.

* اللي فيه الخير يقدمه ربنا، والأيام اللي جاية ماحدش عارف، ممكن يحصل فيها إيه!

والدة "ميرفت" تتصل بها، وتسألها عن صحتها وصحة الأولاد؛ فتلاحظ الأم من صوت ابنتها، أن هناك شيئًا ما قد حدث:

- انتِ اتخانقتِ تاني يا ميرفت انتِ وماضي ولا إيه؟

_ الـ... عادي يا ماما.

"ميرفت" تختصر الكلام مع والدتها؛ لأن "ماضي" موجود بالقرب منها، وقد تغير وجهه عندما سمعها تحدث والدتها، بالرغم من أنه منذ أن تزوج ابنتها كان يعتبرها أمه، وكان لا يتركهم في أي شيء، كان بالنسبة لهم بمثابة الابن المطيع، لكن معاملة "ميرفت" له كان لها تأثير كبير على هذه العلاقة الحسنة، وهذه المعاملة سببها أن أهلها دائمًا يستمعون إلى كلامها، وهذا ما جعل المناخ دائمًا في حالة توتر.

- باقول لك إيه يا ميرفت! لما باباكي ييجي من الشغل

هانجيب أختك الصغيرة ونيجي نطمّن عليكي، يلّا ياحبيبتي، سلام.

_ باقول لك ايه يا ماضي، ماما وبابا واخواتي جايين بالليل؛ علشان يزورني اعمل حسابك تنزل آخر النهار تجيب لنا شوية طلبات.

* إن شاء الله.

"وهو يضمر أنه سيغادر البيت، ويذهب لمقابلة صديقه "فؤاد"، والبقاء معه أكبر وقت ممكن؛ لأنه لا يريد مقابلة أهل زوجته".

الساعة السادسة مساءً، جرس الباب يدق، "أهل ميرفت" جاءوا لكي يطمئنوا عليها، استهل والدها خليل الحوار:

~ هو ماضي مش موجود ولا إيه يا مرفت؟

_ هو نزل يا بابا يشتري شوية طلبات كدا لزوم البيت، وما اعرفش اتأخر ليه؟

سعاد:

- الغايب يا بنتي حِجّته معاه، زمانه جاي.

خليل:

~ اتصلي بيه على تليفونه وشوفيه اتأخر ليه؟ الساعة داخلة على عشرة أهيه.

"ميرفت" تتصل بـ "ماضي"، ولكن هاتفه مغلق، فتحاول الاتصال به مرارًا وتكرارًا ولا فائدة"

خليل:

~ لا دي حاجة ما تطمّنش خالص، بقينا داخلين على نص الليل، مش معقولة كدا، دي حاجة ربنا يعلم بيها.

ميرفت:

_ هو كدا يا بابا متعود لما يخرج يا إما يقفل تليفونه، يا إما ينسانا خالص.

سعاد:

- بصي يا بنتي، باباكِ كان عايز يقول لك على موضوع كدا حصل من يومين، بس أنا اللي قلت له بلاش تحرق دمها، ويمكن يكون فيه سوء تفاهم أو لَبْس في الموضوع.

_ قلقتيني يا ماما فيه إيه؟ قولي لي بسرعة فيه إيه؟

- باباكِ يحكي لك هو اللي عارف الحكاية كلها.

خليل:

~ ليه كدا بس يا حاجة سعاد؟ (إن بعض الظن إثم)، اللي شاف قال مش متأكد، الست اللي كانت واقفة جنبه يعرفها ماضي ولا لأ! بس اللي شككه فى الموضوع، وهو راجع من عند الميكانيكي لقاه بيركّبها في عربيته، وقال إنه متأكد إنها هي، لأنها كانت ست منتقبة، أيوه كانت واحدة ست منتقبة.

"ميرفت بينها وبينها":

_ بقى كدا يا سي ماضي؟! أتاري أحوالك الأيام دي متغيرة أكتر ما هي متغيرة، وبتقعد سهران لوحدك، وبتغيب برا البيت كتير بحجة الشغل، طيب لما نشوف آخرتها معاك إيه؟

~ طيب يا بنتي، هانمشي احنا بقى، وابقي طمّنينا بالتليفون لو فيه أي حاجة.

_ إن شاء الله يا بابا مع السلامة.

* هي دي الحكاية يا صاحبي، من ساعة ما قابلت نوسة بنت خالتها وقالت لي على الميعاد اللي قابلت فيه شكرات، يوم الجمعة الساعة ٩ الصبح، لحد ما وصلتها لأقرب مكان

لبيت أهلها.

_ ياه! بعد العمر دا كله تظهر شكرات؟! وكمان كانت حامل وانت ماتعرفش؟! والبنت دلوقتي خلاص هاتتخرج من كلية الطب بعد أسبوعين تلاته بالكتير!!

* أنا لحد دلوقتي مش قادر استوعب الموضوع دا، أنا زي ما أكون باحلم من كتر ما أنا كنت بافكّر فيها، وإن أنا كنت السبب الرئيسي في كل اللي حصل في حياتها، فاكر إني باحلم؛ لأن العقل الباطن دايمًا بيفرغ كل الأشياء اللي الإنسان بيفضل يفكّر فيها في الواقع؛ علشان كدا أنا متخيل إني باحلم، لكن أنا جيتلك علشان نفكّر مع بعض، وتحسسني إن مش باحلم.

_ عارف يا ماضي.. البنت دي ضحية بجد، ضحية لأنها انظلمت ظلم مافيش إنسان على وجه الأرض يقدر يتحمله، وأنا مشفق جدًا على البنت دي لما تعرف، وأكيد هاتعرف إن آجلًا أو عاجلًا.

* دي غلطة كبيرة من شكرات الله يسامحها بقا.

_ لا يا ماضي الكل مشترك في الغلطة دي، مش هي بس

لوحدها.

* إزاي؟ بس هي برضه عندها الغلط الأكبر.

_ بص يا حبيبي، ناخدها من البداية، وهي بنت في بيت أهلها طبعًا عدم السيطرة والرقابة من الأسرة، وخصوصًا الأم؛ لأنها كانت مش بتدقق مع بنتها في أي شيء، ودا راجع لأنها كانت تقريبًا هي اللي بتصرف على أمها وأخواتها اللي أصغر منها، بعد ما أبوها دخل السجن لاشتراكه في جريمة قتل، وكمان الأخ الكبير كان مسجون في قواضي سلاح، دا غلط الأم!

تمام كدا؟ أما غلطك أنت، إنك راجل وعارف إن تواجدها معاك في كل مكان، وخصوصًا تواجدها في البيت عندكم، وبتدخل كمان أوضتك، وأكيد طبعًا بتشوف خصوصياتك، وكمان انت فرضتها على أسرتك، دا كمان ادّاها إيحاء إنها خلاص بقت واحدة من الأسرة، وكمان اعتبرت نفسها مراتك، الأسرة شايفاها داخلة خارجة بالليل وبالنهار معاك، رغم إن كل الحاجات دي خلت بطريقة غير مباشرة أهلك ينفروا منها؛ لأنهم خلاص حسّوا إنها بنت مش تمام، وبانت أكتر لما أختك أمل شافتها على غفلة، بقميص نوم في أوضتك، كل دا عدّاك

يا ماضي؟!

نقول إنها كانت مدّياك الثقة باسم الحب الكبير اللي بينكم؟! رغم إنها سلمتلك نفسها زي ما حكيت لي زمان أكتر من مرة على أساس أنكم خلاص هاتتجوزا،

طبعًا كل دا غلط، وغلط انتوا الاتنين مشتركين فيه، أما غلط الراجل اللي اتستّر عليها واتجوزته بعدين، اشترك -الله يرحمه- في الغلط هو كمان، ممكن نقول إنه ما كانش يقصد حاجة وحشة، أو ماكانش مدرك أبعاد الغلطة دي، إنه لما وافق على إن البنت تتكتب باسمه، رغم إنه عارف إن ليها أب، وكمان دارى على أهله وخصوصًا الست والدته اللي عاشت شكرات معاها، وادّعى كمان إنه متجوزها علشان يوفّر لها الطريقة اللي تعيش بيها هناك عندهم، وتكون لايقة رغم إنه مش متجوزها، وحامل من واحد تاني.

*** تحليلاتك كلها منطقية يا فؤاد، بس هي بصراحة لما راحت عندهم وعرّفها بأهله ما كانتش هي نفسها تعرف إنها حامل، ويمكن يكون دا اللي ورّطهم في إنهم يكملوا الكدبة.**

_ أنا أعتقد إن جوزها -الله يرحمه- لو كان عارف حاجة زي

كدا "أقصد موضوع إنها حامل" من الأول أكيد كانت الأمور كلها اتغيرت، أو على الأقل كان فكّر ألف مرة، إنها تعيش مع أهله، كان اتصرف لها في مكان تاني بعيد عن والدته وأخواته، أو عند حد من معارفه يقدّر ظرفها لحد ما يبان لها حل، لكن هو كان خلاص عرّف الأهل كلهم إنه متجوزها، فازاي لما يعرف إنها حامل هايقول مش منه؟! رغم إنه مالمسهاش ولا جه جنبها، وعاملها زي أخته وهمّا في أوضة واحدة، ودا كمان كان من غَلطاتها الكتيرة، زي ما قلت لك ازاي قدرت تعمل كدا؟ هاتقول لي الثقة؟! أكيد مهما إن كان وهي نايمة هاتتقلّب، فلازم هاتتعرى؛ فعينه غصب عنه لازمًا وحتمًا هاتقع عليها، وشوف بقى كمان! خوفها من أبوها ودّاها فين؟ وخلّاها تعمل إيه؟! خلاّها تكدب هي والمرحوم، أو تشترك في الكدبة، وكل الحاجات تغضب ربنا، دا غير إنها خبّت عليك، كان ممكن يبقى ليها علاج، وتألف قصة إن البنت اتخطفت، وأبوها ياخدها يتصرف فيها بمعرفته.

* كانت المشكلة هاتتأزّم أكتر ما هي متأزّمة.

_ بلاش موضوع الخطف دا خالص؛ لأنه فعلًا هايبقى صعب،

لأن هايبقى فيه بوليس، ممكن قبل معاد الولادة كانت تروح تقعد في مكان ماحدّش يعرفها فيه لحد ما تولد، وبعد كدا كان يتقال إن المولود مات بعد الولادة مباشرة واندفن في مقابر ناس معرفة، وكان مش هايبقى فيه مشكلة في الاسم؛ لأن ما بُنِيَ على باطل فهو باطل، وآدي نتيجته اللي هاتحصده دلوقتي هي حنين.

* يااااه! احنا بقينا وشّ الفجر، هاقوم أروّح ونكمّل كلامنا في الموضوع دا وقت تاني بإذن الله.

_ لسّه الكلام كتير، المهم الحل ما يأثرش على بيتك وحياتك بعد كدا، وما يجرحش في نفس الوقت حنين، وكمان مايفضحش سر المرحوم.

* أشوف وشّك على خير.

"فؤاد ضاحكًا":

_ أيوه فعلًا ما ينفعش تقول تصبح على خير، علشان احنا خلاص بقينا الصبح.

عاد "ماضي" إلى المنزل، فوجد "ميرفت" مستيقظة كعادتها، أصابها الأرق والقلق، وانتظرته حتى يعود لتطمئن

عليـه، ولتعرف أيـن ذهـب وتجاهـل زيـارة أهلهـا، والأهـم أن تسأله عن حقيقة ما قاله أبوها عنه مع السيدة المنتقبة، ومن هي؟!

_ حمدًا لله على السلامة يا بيه!

كويس إنك بخير،

فين الطلبات اللي نزلت علشان تجيبها؟

* طلبات إيه؟

ما انتِ عندك كل حاجة في البيت،

طلبات إيه اللي عايزاها؟!

ولا هي تلاكيك وخلاص؟

_ تلاكيك؟

مين اللي بيتلكك للتاني يا أستاذ؟

أنا ولا انت اللي الواحد مش عارف لك نظام؟

بتروح فين وبتيجي منين؟

وأنا برضه اللي بعرف حريم وكمان منتقبات؟!

"ماضي مستنكرًا":

* حريم؟! ومنتقبات؟

وهاعرف حريم منين؟ وكمان منتقبات؟!

_ يعني لو مش منتقبات كان عادي يعني عندك؟

* عادي ازاي يعني؟ ما اعرفش حد منتقب خالص.

_ لا فيه ناس شافتك، وكنت بتركّبها عربيتك يوم الجمعة، واللي شافك دا مش بيكدب؛ لأنه شافك مرتين، وكان مكدّب عينيه لحد ما اتأكد إنها تعرفك وانت كمان تعرفها، بدليل إنك ركبتها عربيتك، مين دي يا أستاذ اللي ركبت معاك العربية؟

* دي واحدة ست كان فيه شوية شباب شوفتهم بيضايقوها، والواجب يحتم عليّا إني أنجدها من مضايقتهم، وعملت فيها معروف، ووصلتها لأهلها.

_ يا راجل؟! كنت انت وهي بس اللي موجودين في المكان إياه.

* ما انا بقول لك، هي استنجدت بيّا، ولما وقفت جنبها افتكروني قريبها، فمشيوا، فخافت إنهم يتعرضوا لها تاني، فوصلتها لأقرب مكان لأهلها.

_ وإيه اللي ودّاك المكان دا إلا لازم تكونوا متواعدين؟!

* مش باقول لك مافيش فايدة؟!

انتي عمرك ما صدقتيني، طيب أعمل لك إيه يعني علشان تصدقي؟ أحلف لك إن أول مرة أشوفها؟

"هو بالفعل يراها لأول مرة منذ خمسة وعشرين سنة"

_ وليه ما أصدقكش؟ الأيام بيننا يا سي ماضي، وهي اللي هاتثبت إذا كان كلامك صح! ولا إحساسي أنا اللي صح؟! واللي أنا متأكدة إن عمره ما خانني، أنا داخلة أنام، تصبح على خير.

الفـصـل الســابـع

"عريس حنين"

"حنين تحكي لوالدتها عن الدكتور "عمر فؤاد"، وأنـه معجب بهـا، وفـي نفـس التوقيـت تتقـدم "زينـات" -أخـت المرحـوم "حاتم"؛ لكي تخطب "حنين" لابنـها "علاء".

"حنين" عائدة من الجامعة، ووجهها ترتسم عليه علامات السعادة والبهجة؛ لأن الدكتور "عمر فؤاد" صرح لها بإعجابه.

* إيه يا حبيبتي دا؟

إيه يا قمر العيلة وأول فرحتها دا؟

بدر منوّر، يا حبيبتي احكي لي، إيه الفرحة اللي أنا شايفاها هاتنطّ من عينيكِ دي؟ طمّنيني يا حبيبتي وفرّحيني، فرّحي قلبي أكتر ماهو فرحان.

_ يا ترى قلب ماما حبيبتي وحياتي فرحان ليه؟ ومن إيه؟

* يا واعية انتِ، أنا اللي بسألك يا دكتورة، وانتِ اللي عليكِ تجاوبي، مش همّا بيعملوا معاكم كدا برضه في الجامعة؟ بيسألوكم وانتوا بتجاوبوا؟ ولّا مش هاتجاوبي؟! وبعدين يبقى فيه كحك؟

_ لأ يا ماما، دا هايبقى فيه كمان بتي فور وشربات وحاجات ومحتاجات، وزينات بس مش زينات عمتي، زينات تانية خالص، زينات كدا بتنوّر بالكهربا.

* فكرتيني بعمتك زينات يا حنين، دي مستقوية القلب، منها لله هي وعمّاتك كلهم.

_ مالهم يا ماما عماتي؟

ومالها عمتي زينات؟

"شكرات تحاول أن تتظاهر باللامبالاة؛ لكي لا تؤثر على نفسيّة حنين بنتها":

* خلينا فيكِ انتِ يا حبيبتي، والفرحة اللي انتِ فيها، كملي لي يلا..

"حنين وهي في غاية الخجل":

_ الله بقى يا ست ماما، هاتكسفيني! بعدين بقى لما يقول لي، ويصرح لي إنه عايز ييجي يقابل حضرتك، علشان يطلب إيدي.

"زينات" -الشقيقة الكبرى لـ "حاتم" زوج "شكرات"-، لديها ابن اسمه "علاء"، شاب عمره ستة وعشرون عامًا، وتكوينه البنياني ضخم، استغل هذا التكوين في الحصول على فرصة عمل أثناء دراسته قبل سفره للخارج، مع الراقصات في الملاهي الليلية، لحمايتهم والدفع عنهم من المخمورين والبلطجية، وهناك تعلم أساليب كثيرة، ولغة أخرى؛ لغة

جديدة عن لغة المجتمع الذي تربى وعاش فيه مع الأهل والأصدقاء، لغة غير مألوفة للتعامل بها مع أناس طبيعيين.

اليوم رجع "علاء" من إيطاليا لزيارة أسرته، وقد سافر هذه الدولة بعدما تخرج من المعهد، وحصل على شهادة فوق متوسطة؛ كونه كان مدللًا، فهو الولد الوحيد على ثلاث بنات، وهو أصغرهم، فأمه جعلته فوق رؤوس الجميع "الإخوة والأهل"، والده وافق على سفره إلى الخارج لكي يكوّن نفسه، لأن هناك في هذه الدولة الأوروبيّة يوجد خاله "ياسر" الذي ترك مصر منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا، ولأنه كان ولدًا مدّللًا لم يضع العمل الجاد والشريف غايته، ولكنه اعتمد اعتمادًا كُلِّيًا على خاله، إلى أن غضب خاله من أسلوبه الغير مسئول، ومن كثرة نصائحه له التي لم تأتِ بثمارها، لأنه بدأ يتصاحب على بعض أشخاص هناك، اتضح له فيما بعد، أن هولاء الأفراد يعملون ضمن عصابات المافيا الدولية، ومعروف عنهم أن لديهم نشاطات في كل شيء، وفي كل مكان في العالم، فمن خلال هولاء الأشخاص تعرّف على شخصيات كبيرة في هذا التنظيم العصابي، "علاء" من

خـلال العمـل مـع هـؤلاء الأشـخاص اكتسـب ثـراءًا فاحشًـا، وأصبح في فترة قصيرة جدًا يمتلك ملايين الدولارات؛ لأنـه كان مميزًا في كل شيء، في قوتـه ودهاءه، علاوة على أنـه كان قناصًا ماهرًا، فاستطاع أن يشتري هناك مطاعم كثيرة في مدينة روما رغم صغر سنه.

"بعد تناول العشاء، أمه تقول له:

* واد يا لوئه، عايزين بقا نفرحوا بيك، انت خلاص كدا مش ناقصك أي حاجة، عندك عمارتين هنا، واحدة مسكّنها في أحسن حتة في اسكندرية، والتانية احنا قاعدين فيها أهو، وكل واحدة من أخواتك البنات قاعدة في دور كله لوحدها، وكمان الفيلا الجديدة اللي هاتتجوز فيها فاضل عليها حاجات بسيطة وتتشطب، ما فاضلش غير العروسة يا واد يالوئه، عايزين نشوفوا لك بقى حتة عيّل يتربى في عز أبوه.

_ إيه يا ماما؟ انتِ مستعجلة على إيه؟! لسّه بدري، بعدين بعدين، لما نتمتع بحياتي الأول ونشبع من الدنيا، انتِ عارفة الجواز تقييد للحرية، وأنا ما نحبش حاجة تكتفني، ولا إيه رأيك انت يا حاج؟

الحاج سارية:

~ يا ابني الجواز نص الدين، الجواز سترة برضه.

_ يا بابا أنا بحب أكون حر دايمًا زي العصفور الطليق.

* لما تعرف أنا حاطّالك عيني على مين يا واد هاتوافق على طول، دي مال وجمال وأدب وعلم كمان، دي حلاوتها يا واد مالهاش حل، دي أحلى من الأجانب اللي بتشوفهم هناك في إيطاليا.

_ مين هي دي يا ماما؟

* أنت عارف حنين بنت خالك حاتم -الله يرحمه-؟ حنين اللي كنا كلنا بنقولّها يا حونّة، انت مش فاكرها؟

_ أيوه يا ماما فاكرها، حد ينسى بنت خاله؟ بس أنا فعلًا بقى لي كتير ماشوفتهاش، يمكن من وأنا في ثانوي، من ساعة خالي ما مات -الله يرحمه-، ويمكن من قبل ما أسافر كمان ماشوفتهاش.

* دي هاتتخرج خلاص أهي وهاتبقى دكتورة قد الدنيا.

_ خلاص أشوفها الأول، يمكن ما نرتاحوش لبعض.

* ما ترتاحش إيه؟! باقول لك دي مال وجمال، أنا بكرة الصبح هاخد أخواتك البنات ونروح لأمها نفاتحوها، انت أحق بيها من أي حد تاني.

تقوم وترفع سماعة الهاتف الأرضي، وتبلغ الخبر لكل أخت من أخواتها البنات؛ ليذهبن معها ومع بناتها، ويفاتحن "شكرات" في الموضوع، ولكن كل واحدة منهن كانت تضمر الضيق والضجر من هذا الأمر؛ لأنهن كنّ يتعشمن أن يخطب علاء إحدى بناتهن، ولذلك اعتذرن جميعًا بحجة أنهن منشغلات بامتحانات أولادهن، ولن يمكنهن الذهاب معها، واقترحن عليها تأجيل ذلك الأمر حتى انتهاء الامتحانات، ولكن "زينات" ردت عليهن بأن ابنها "علاء" سيسافر بعد أسبوعين، وتريد التعجيل بالأمر؛ لكي يتسنى للعروسين أن يألفا ويتفقا، رغم أنها بنت خاله، إلا أنهما لم يلتقيا كثيرًا، ولا توجد بينهما لغة حوار، ثم أنهت معهن المكالمة الهاتفية وهي غاضبة منهن جدًا....

* مهما كانت الظروف، كان المفروض يكونوا معايا في موضوع مهم زي دا.

في صباح اليوم التالي، تتوجه "زينات" هي وبناتها لزيارة "شكرات".

"شكرات" تقف في البلكون؛ لكي تطمئنّ على "حنين"، وهي خارجة بالسيارة من جراج العمارة متجهة إلى الجامعة، في نفس التوقيت الذي خرجت فيه "حنين" بالسيارة من الجراج وتوجهت إلى الجامعة، بعدها بثوانٍ جاءت سيارة أجرة ووقفت أمام العمارة، فنزلت منها "زينات" وبناتها، وفي هذه اللحظة "شكرات" كانت تدعو لبنتها بالستر والسلامة، وأن يسعد الله قلبها، ويسعدها مع ابن الحلال الذي اختاره قلبها، وأن يحافظ عليها ويصونها ويضعها في عينيه.

"زينات" تدخل هي وبناتها العمارة متجهات لشقة "شكرات"، وإحدى بناتها تضغط على الجرس، تفتح "شروق" -إبنة خالها- الباب، تستقبلهن "شكرات" بتحفظ شديد؛ لأنه دائمًا حينما تأتي "زينات" لزيارتهم يكون يومًا مليئًا بالمشاحنات، كما أنها ليس بالعادة أن تأتي "زينات" هي وبناتها للزيارة في الصباح الباكر هكذا، ظلت "شكرات" تفكر وتخمن سبب الزيارة، وبينها وبين نفسها:

- أنا كنت لسا هاتصل بماضي علشان أفرّحه، وكمان أطمّن عليه، وأسأله ليه ما اتصلش بيّا لحد دلوقتي كل دا؟
"هذا ما كان يدور في خلدها أثناء استقبالها لهن".

- يا مرحب يا جماعة، نورتونا، إيه الهنا دا كله؟

* دا نورك يا حبيبتي، عاملة إيه؟ ما بتسأليش علينا يعني ولا حتى بتيجوا؟ قلنا احنا نيجوا ونطمّنوا عليكِ وعلى ولاد أخويا حبيبي الغالي -الله يرحمه-، دا أنا اللي مربّياه، أنا أخته الكبيرة يا حبيبتي، ما انتِ عارفة كدا، ربنا يطول عمرك وتعيشي وتتهني انتِ وولادك.

- أبدًا، انتِ عارفة مشاغل الأولاد، وخصوصًا الدكتورة حنين الأيام دي خلاص على وشّ امتحانات البكالوريس، غير بقا باقي الأولاد كل واحد له همه وظروفه يا حبيبتي، وكمان الحاجة عليّة لازم أقوم بكل طلباتها على أكمل وجه، دي بركتنا كلنا، ولا إيه يا أم علاء؟! أخوكِ -الله يرحمه- موصّيني عليها قوي قوي إني أحطّها في عيني كدا.

* صدقيني يا حبيبتي، دا لولا بس المرحوم حاتم كان موصينا كلنا إن أُمّنا ماتسيبش المكان هنا مهما كانت الظروف، كنا

أخدناها عندنا بس دي وصيّة الحبيب الغالي، وانتِ عارفة بقا الوصية.

- الغالي؟!

آآآآآآه عارفة يا أم علاء، دي ياما دعت له ربنا يرحمه ويجعل أراضيه الجنة يارب.

* يقعد لكم يارب في صحتكم، وفي ميزان حسناتكم، احنا دايمًا بندعوا له بالرحمة وبندعوا ربنا يفرّحك بأولادك وبالدكتورة يارب، ربنا يرزقها بابن الحلال اللي يعرف قيمتها، ويتاقلها بالألماظ.

- لسا بدري يا أم علاء، مش لما تخلص الجامعة الأول؟ وتشوف هاتعمل إيه بعد كدا؟

* وفيها إيه لما كله ييجي مع بعضه؟

- هي مش بتفكّر في الارتباط دلوقتي خالص.

* بس لما تعرف مين اللي حاطط عينيه عليها، هاتطير من السعادة.

- مين دا اللي حنين هاتطير من السعادة لما تعرف إنه حاطط عينه عليها يا ترى؟

* علاء ابني ما شاء الله عليه، قيمة وسيما وطول وعرض، وكمان جاهز من مجاميعه، وبيشطب فيلّته ومش ناقصه غير العروسة، امبارح لما رجع من إيطاليا اتكلمت معاه، أنا وباباه وقلنا له عايزين نفرحوا بيك بقى ونشوفوا لك حِتّة عيل تفرح بيه انت ومراتك.

- لكن حنين مش بتفكّر في الارتباط دلوقتي، لسّه وراها الماجستير والدكتوراه، زي ما المرحوم كان عايز يشوفها دكتورة كبيرة قد الدنيا.

* وهو الارتباط هايعطّلها عن الدراسة؟ دا ممكن علاء ياخدها معاه وتدرس الدكتوراه دي في أوروبا.

ابنة "زينات" الكبرى تقول لـ "شكرات":

~ والله يا طنط احنا بنحبوا حنين بنت خالو قوي؛ لأنها زي النسمة كدا، وماحدش بيسمع لها صوت، وعلاء أخويا مش هايخلّي نفسها في حاجة خالص يا طنط.

يا حبيبتي أنا هافاتحها في الموضوع والقرار قرارها، هي هاتعرف مستقبلها كويس الحمد لله؛ لأنها عاقلة وبتعرف توزن الأمور.

زينات:

*** طيب فكروا على مهلكم، احنا مش مستعجلين، يلا يا بنات.**

"وعلى ملامحها يبدو الغضب بسبب طريقة رد "شكرات" عليها في الكلام"

شكرات:

- طيب ليه مستعجلين؟ ما انتم قاعدين معانا يا جماعة شوية.

"زينات" تغادر منزل "شكرات"، وهي غير راضية تمامًا عن هذه الزيارة؛ لأنها لم تجد اللهفة والحفاوة التي كانت تتوقعها، على أساس أن "علاء" ابنها عريس مناسب لأي بنت؛ لأنه لديه كافة الإمكانيات، وهذا من وجهة نظر والدته.

والدة الدكتور "عمر" -زوجة "فؤاد" صديق "ماضي"- تقول لابنها وهو متوجه للجامعة:

_ حبيبي مش هايفطر؟

بقى لك كام يوم كدا! ملاحظة عليك إنك مش عايز تفطر، وبتبقى دايمًا مستعجل، مش عوايدك يا حبيبي،

قول لي لو فيه حاجة شاغلاك يا دكتور، فيه حاجة في الجامعة؟

احكي لى يا حبيبي وقول لي، أنا ماما حبيبتك.

* بصراحة يا ماما فيه، بس الحاجة اللي شاغلاني دي حاجة تفرّح يا حبيبتي، ماتقلقيش.

_ طمّني ياحبيبى قوام، فرّح قلبي يا عمر.

* فيه بنت يا ماما اسمها حنين، أخلاق إيه! ما تتخيليش يا ماما جمال إيه!

إنسانة متفوّقة في دراستها وفي كل السنين.

_ ياه.. دا انت عارف عنها كل حاجة يا حبيبي!

* طبعًا يا ست الكل، سمعت وعرفت، وكمان ايه.. بتجيب امتياز على طول، مش بعيد تتعيين قريب قوي معيدة في الجامعة، وتكون زميلة.

_ ها؟ من امتى يا حبيبي مشغول بيها؟

* من السنة دي يا ماما، لفتت انتباهي بشكل غريب!

خلّتني حطّيت عيني عليها، بس من بعيد لبعيد؛ لأني ماكنتش بدخل لهم قبل كدا، لكن السنة دي أنا بدرّس للطلبة في القسم اللي هي فيه؛ علشان هي تخصص جراحة عامة، وبقيت أشوفها كتير.

_ وصارحتها يا حبيبي بحقيقة شعورك؟

* أيوة يا ماما، وقعدنا في مكان عام قرّيب من الجامعة، واتكلمنا وعرفت حاجات كتيرة قوي عن حياتها.

_ يارب يا حبيبي تكون من نصيبك، أنا نفسي تتجوز واحدة تكون بتحبها، زي أنا كدا وباباك اتجوزنا عن حب، وكنت زميلة له في الكلية، ربنا يوفقك ويسعد قلبك يا عمر يارب.

* أنا عايزك بقى يا حبيبتي كدا، تمهّدي الموضوع دا عند بابا، أول ما ييجي من القاهرة تكلميه، هو خلاص جاي بكرة ولّا بعده إن شاء الله.

_هو كلمني وقال لي إنه خلص الشغل الكتير اللي كان عنده في الشركة.

* ربنا يخليكِ لينا يا ماما ويخلّي لينا بابا يارب.

_ عقبال أختك لبنى بقى هي كمان، لما تتخرج كدا من الإعلام يا حبيبي، ونفرحوا بيكم وبأولادكم.

ذهب "ماضي" إلى المحل وجلس على مكتبه، كان مترددًا، هل يتصل بـ "شكرات" أم لا؟ كان يساوره شعور غريب ولا

يعرف ماهيته، كان قلبه غير مطمئن؛ فأمسك بالهاتف واتصل برقم "شكرات":

_ ألو...

* مش ممكن، لا لا مش ممكن!

_ هو إيه بس اللي مش ممكن؟

* علشان أنا لسه كنت هاجيب الموبايل وأطلبك.

_ ياااه! احنا الاتنين فكرنا نطلب بعض في نفس الوقت؟ غريبة فعلًا!

* ليه ماتقولش القلوب عند بعضها؟

_ كنتِ هاتكلميني فى ايه؟

* لا قول لي انت الأول، كنت هاتطلبني، قصدي كنت هاتكلمني في ايه؟

" كانت تكلم "ماضي"، وهي تشعر أن سنوات الحب القديمة قد عادت من جديد"

_ يعني بلاش أطمّن عليكي؟! قصدي على حنين؟

* امممممممم على "حنين" بس يا ماضي؟

_ لأ طبعًا، وأم حنين.

* باقول لك إيه! مش هاينفع نتكلم في التليفون، انت لازم تقابلني ضروري.

_ خير يا شكرات؟ قولي لي قلقتيني.

* ليه هو انت ماكنتش ناوي تيجي تشوف حنين مع الجماعة؟ هما جايين يوم الجمعة اللي جاية دي على طول.

_ ينفع نتقابل بكرة في أي مكان عندك في الإسكندرية؟ محتاج أتكلم معاكي في موضوع حنين.

* وأنا نفس الحكاية فعلًا، أنا كنت هاطلبك يا ماضي علشان فيه موضوع خاص برضه بحنين بنتنا، يا أبو العروسة.

_ عروسة؟!

* لما نتقابل بكرة إن شاء الله هاتعرف كل حاجة، قابلني بكرة الساعة خمسة بعد العصر، قبل ما توصل إسكندرية رنّ عليّا أقول لك المكان فين بالظبط اللي هانقعد نتكلم فيه.

_ تمام كدا، مع السلامة، خلى بالك من نفسك.

* وانت كمان خلي بالك من نفسك، سوق على مهلك.

_ لا إله إلا الله.

* محمد رسول الله.

"شكرات" تنهي المكالمة مع "ماضي"، وتسرح، وتفتكر في الحوار الذي دار بينها

وبين "حنين" عندما كانت عائدة من الجامعة، وهي تقول لها:

_ فرّحيني أكتر ما أنا فرحانة.

ساعتها كانت تتمنى "شكرات" أن تقول لها:

*** أنا سمّيتك حنين؛ لأنك انتِ فعلًا حنين الماضي، والماضي اهو رجع، والحنين خلاص صحي.**

الفصل الثامن

(الكمين)

"ماضي" يضبط "حسيب المنياوي" في شقة "رانيا"، بعد أن تأكد أنه متواجد عندها في هذا الوقت المتأخر من الليل بعد انتهاء عيد ميلادها، والذي سبق وأن ضبطته زوجته عندها، ولكن لم تستطع مواجتهه عند عشيقته".

"رانيا" أخت "ميرفت" الكبرى، تتصل بـ "ميرفت"؛ من أجل الاطمئنان عليها، فمنذ فترة وهما لا تعلمان شيئًا عن بعضهما البعض، رغم أنهما ليستا أختين شقيقتين، لكنهما سر أسرار بعضهما، ودائمًا كل منهما تعرف كل شئ عن الأخرى.

_ لسه فاكرة إن ليكِ أخت؟

أومّال لو جوزك موجود مش مسافر وبييجي كل شهر؟!

وماعندكيش حد يكتّفك زيي،

انتِ يا إما فى النادي يا إما عند بابا، كنتِ نسيتيني خالص؟!

* لأ طبعًا، أنا أقدر؟!

أنا يا حبيبتي باعرف عنك كل حاجة لما باروح أشوف بابا وأطمّن عليه،

ولما قال لي دلوقتى على موضوع ماضي جوزك بتاع الست المنتقبة دي، زعلت علشانك قوي، قلت لازم وضروري أطمّن عليكِ بنفسي، انتِ عاملة إيه؟

_ الحمد لله على كل حال يا حبيبتي.

* حاولي تلمّي الموضوع دا يا ميرفت؛ علشان مايوسعش، أصل فيه بعض رجالة بيبقى ليهم نزوات، وبتروح لحالها

بسرعة، لكن لو قعدتِ كل شوية تتكلمي فيه، بيدخل بقا بعد كدا في مسألة عند.

_ طيب أعمل إيه؟!

بيبقى غصب عني، لازم أحافظ على بيتي، ولا أسيب واحدة تانية تيجي تاخده مني ومن عياله؟!

* خلّي بالك يا ميرفت من بعيد لبعيد كدا، وعينك دايمًا على الموبيل بتاعه، الموبايلات دي بيبقى فيها معظم أسرار الرجالة والستات، طبعًا انتِ فاهماني؟

_ طبعًا طبعًا فاهماكِ، وكمان هو بيقعد في الشغل لوحده كتير، ولما بيكون هنا برضه بيحب يقعد مع نفسه، خصوصًا لما بانام.

* أنا عيد ميلادي يوم التلات اللي جاي، أوعي بقى تنسي، هاتي الأولاد وتعالي، أنا عازمة أصدقاء النادي كلهم.

_ إن شاء الله يا حبيبتي.

"عواد" -ابن خالة "نوسة"- يتصل بها هاتفيًا؛ ليقول لها:

_ على فكرة، جوزك رايح يوم التلات اللي جاي دا عند الست إياها، اللي جوزها بيروح عندها ساعات، وهاتكون عازماه

علشان تعرفوا بأهلها،علشان يتقرّب ليهم، علشان لما يشوفوه بعد كدا فى أي مناسبة، يعرفوا إنه صديق عادي، وكمان سامعها بتقول له ان الأجازة بتاعته المرة اللي جاية دي أنا هاطلب منه الطلاق؛ علشان هو مريض وكبر قوي، وبقالنا سنين مع بعض ماخلّفتش منه حتة عيل واحد، وأنا اللي في سني بقى معاهم أولاد أطول منهم، وكمان سامعها وهي بتقول له:

أنا اتجوزته وهو أكبر مني بـ ٢٠ سنة؛ لأني حسّيت إنه هايعوضني حنان الأب اللي انحرمت منه فترة طويلة، لما بابا طلق ماما، وعشت معاها لغاية ما ماتت وراح اتجوز واحدة تانية، وكمان كل شهر بييجي يقعد معايا خمس أيام ويمشي، وكلام كتير لما هاتقابله هاتقولهوله،

أنا كنت قاعد على الترابيزة اللي وراهم في النادي، وكنت مدّيهم ضهري، وسمعت كل حاجة المرة دي بالتفاصيل أكتر من المرة اللي فاتت.

أخذ "ماضي" أولاده وزوجته وتوجهوا إلى منزل "رانيا"، حيث أن اليوم يصادف عيد ميلادها التاسع والثلاثين، وقد

اعتـادت دائمًـا أن تقـيم حفـل عيـد ميلادهـا فـي عـدم وجـود زوجهـا؛ لأنـه يكـون دائمًـا مسـافرًا، وطبيعـة عملـه فـي البحـر تستلزم منه أنه يأخذ إجازة لمدة أسبوع كل شهر.

"صلاح الشوربجي"،
زوج "رانيـا" الـذي يبلـغ مـن العمـر تسـعًة وخمسـين، والـذي يكبرهـا بمـا لا يقـل عـن عشـرين عامًـا، والـذي يثـق بهـا جـدًا، ويمنحها الأمان والثقة دائمًا، والذي تزوجها بعد وفاة زوجته أم بناته "هناء، وشيرين"، لكن ظروف عمله وتربيـة الأطفـال أرهقتـه، وحينهـا كانـت أم زوجتـه متوفيـة، وأمـه كانـت مسـنة حينها، وحين توفيت أخذتهما خالتهما التي لم تُرزق بأطفال لكي تقوم بتربيتهما؛ لأنها ما زالت على قيد الحياة بمفردها منذ وفاة زوجها في حادث في المصنع الذي كان يعمل به.

تعرفت "رانيا" على "صلاح" من خلال النادي، حيث أنه كان يأخذ بناته في كل أجازة لكي يجلسوا في النادي معًا، رأته "رانيا" وتعرفت عليه؛ كونها تعشق الجلوس في النادي منذ سنوات، وتكلمت معه كثيرًا بطريقتها الجذابة فارتاح لها، فتزوجها.

كان يعمل في وظيفة مرموقة، وكان يحصل فيها على راتب شهري مجزٍ، وكان أثر العز يبدو عليه واضحًا، وهي تحب الأغنياء جدًا، وأمنيتها منذ زمن أن تتزوج من رجل غني، ولا يوجد لديها أي مانع ولو كان هذا الرجل يكبرها في العمر، وفي الوقت ذاته لكي يعوضها عطف الأب ويحقق لها كل أمانيها، فتزوجت "رانيا" من "صلاح الشوربجي" بالرغم من أنه يكبرها بسنوات ليست قليلة، واستمرت الحياة.

"رانيا" هي ابنة "خليل الغرباوي"، الرجل المسالم الذي يسمع كلام زوجته "سعاد" -أم ميرفت-؛ فهي الآمر الناهي في البيت، بنتها "ميرفت" أخذت منها كل سلوكها وطباعها، وكانت تعتقد أنها تستطيع أن تطبيقها حرفيًا مع زوجها "ماضي"، لكن "ماضي" دائمًا كان واقفًا لها بالمرصاد.

"ميرفت" زوجة "ماضي" وأولادها ينزلون من السيارة أمام العمارة التي تسكن بها خالتهم "رانيا"؛ لكي يحضروا عيد الميلاد.

"ماضي" منتظر في سيارته أمام العمارة؛ لكي يطمّئن عليهم، وبعد ذلك يذهب إلى المكان الذي يقصده، ويعود إليهم عندما يتصلون به، لكي يأخذهم إلى المنزل.

حينما كان "ماضي" واقفًا ينتظر أولاده وزوجته، كان ينظر في الناحية اليمنى للعمارة التي تسكن بها "رانيا"، وقعت عيناه على امرأة قريبة الشبه من "نوسة" -ابنة خالة شكرات-؛ فنزل من سيارته وذهب تجاهها، وعندما لمحته حاولت أن تخفي نفسها منه، فادعى أنه داخل إلى العمارة التي بها "رانيا" -أخت "ميرفت"-، فظنت "نوسة" أنه دخل العمارة، ثم عاد فجأة وجاء وجهه أمام وجهها...

_ انتِ بتعملي إيه هنا؟!

واتداريتِ مني ليه لما شوفتيني جاي ناحيتك؟!

وبعدين انتِ ليه واقفة كدا زي ما تكوني مش عايزة حد يشوفك؟!

"وأثناء ذلك لمحت زوجها يدخل العمارة"

* فاكر يا "ماضى" يوم ما شوفتك وركبت معاك العربية ووصلتني وسألتني إيه الموضوع وقولت لك بعدين بعدين؟ أنا ساعتها كنت نازلة من العمارة دي.

_ أيوه فعلًا أنا ساعتها استغربت جدًا، مش ساكنة هنا خالص، وكمان إيه كان منزلك منها، وكنتِ ساعتها متوترة

جدًا وكان باين عليكِ، وأعصابك بتترعش، لكن ماكملتيش الموضوع وقلتِ لي بعدين!!

* أنا هاحكي لك الموضوع دلوقتي.

_ تحبي نقعد في أي مكان نتكلم فيه؟ ولا نمشي بالعربية؟

* لا، نمشى بالعربية أحسن.

_ طيب كملي أنا سامعك.

* واحد قريبي بلغني تحركات جوزي ساعتها، وقال لي: إنه بييجي العمارة دي، وادّاني العنوان دا بالظبط علشان مشي وراه، لما خرجت هي من النادي وهو معاها، وفضل ماشي وراهم لحد العمارة هنا.

جم يطلعوا في الأسانسير لقوه عطلان، في اليوم دا طلعوا على السلم، طلع وراهم واحدة واحدة من غير ما يحسوا بيه لحد ما عرف الشقة اللي في الدور اللي ساكنة فيه، نزل من العمارة وبلغني، خدت بعضي وجيت بسرعة على العنوان اللي هو ادّاهولي، ورُحت على الشقة، رنّيت الجرس كنت ساعتها لابسة العباية السمرة ومنزّله الطرحة على عيني...

_ أيـوه، أيـوه صـح، كنـتِ متغميـة خـالص، افتكـرت، وكنـتِ بتعدّي ساعتها الشارع وانتِ مش شايفة الطريق كويس.

* الست دي الظاهر بصّت من العين السحرية اللـي فـي البـاب افتكرتني مرات البواب، ففتحت بسرعة، دخلت الشقة ومش عارفة هاعمل ايه أو هاقول ايه، قالت لي: انتي مين يـا ست؟ وعـايزة ايـه؟ وهـي بتكلمنـي لمحـت البيـه خـارج مـن الحمـام، ماشـافنيش، أنـا اللـي شُـفته علشـان كنـت واقفـة فـي زاويـة متدارية مايقدرش يشوفني منها، وسمعت صوته كمـان بيقـول لها: مين يا رورني؟

قلت لها وأنا أتلجلج : معلهش يظهر مش دي الشقة اللـي أنـا عايزاهـا، أنـا رنيـت غلـط؛ لأنـي سـاعتها ماجـاتليش الشـجاعة أواجههم، وخرجت وأنـا زي ماشوفتني كدا لمـا فرملـت عليّـا بالعربية.

_ طيب والنـهار دا إيه اللي جابك هنا تاني؟

* بلغني عواد ابن خالتي أخو شكرات الصغير اللي بيجيب لي كل المعلومات والأخبار عن البيه وقال لـي إنـه جـاي النـهـار دا

بالليل، عيد ميلاد الست اللي ماشي معاها، وبيروح لها الشقة، الست دي متجوزة وجوزها مسافر، وبييجي كل شهر.

_ هي الست دي متجوزة وجوزها مسافر؟ وعيد ميلادها النهار دا؟ وفي العمارة دي؟

"في سِرِّه":

_ داهية لتكون رانيا أخت الهانم، وفعلًا النهار دا التلات عيد ميلادها!!

* مالك سكتت كدا وسرحت فجأة يا ماضي؟!

_ لأ، لأ، أنا سامعك بس بافكّر مين هي الست الخاينة دي؟

* تطلع زي ما تطلع، المهم أنا بافكّر أطلع أفضحهم قدام الناس اللي موجودة دي، وقدام أهلها، أكيد حد من أهلها موجود علشان تعرّفوا عليهم زي ما عواد سمعها وهي بتقول له: علشان لما حد يشوفك يبقوا عارفين إنك صديق من أصدقائي اللي في النادي.

_ باقول لك ايه يا نوسة، سيبي لي الموضوع دا، وأنا إن شاء الله هاخلصهولك تمامًا، ومش هاخلّيه يهوّب ناحيتها تاني.

* خلاص يا ماضي، انت عارف لولا إني مابحبّش الفضايح، وكمان خايفة على سمعة الأولاد، وإني واحدة ست ولازم أحافظ على بيتي تحت أي ظروف، كنت طلبت منه الطلاق من ساعة ما عرفت إنه بيخونني.

_ أنا مش عارف اسم جوزك إيه؟ أوصافه إيه؟

* "حسيب المنياوي" صاحب محلات قطع غيار العربيات اللي في وسط البلد، هو طويل وعريض وشعره روزي أبيض على أسود، وعينيه عسلي، وبشرته مايلة للبياض، شكله زي الأتراك بالظبط.

_ كفاية كدا، أنا هاعرفه أول ما أشوفه.

* إن شاء الله، أنا هانزل هنا وربنا معاك يا ماضي.

أستنى لما أرجع من اسكندرية!

يمكن رانيا تنكر كل حاجة،

والدليل اللي شافهم في النادي ابن خالة نوسة مش كفاية،

وأبقى كدا باطعن في شرفها، ويبقى الشكل العام قدام الناس مش كويس،

حتى لو كلمتها بيني وبينها عن اللي اسمه حسيب المنياوي دا هاتقول لى دا صاحبي من النادي، وأنا عازمة كل أصدقاء النادي، ومافيش دليل إن فيه علاقة بينهم؛ لإن الدليل الوحيد اللي شافهم هو عواد، ودا ممكن يتقال عليه إنه دا واحد عايز يشوّه صورتها وخلاص، ومتفق مع قريب مرات حسيب المنياوي على كدا، يبقى الحل إني أحطهم تحت عينيا وأرتب مع نوسة، واحنا الاتنين نظبطهم متلبسين، ويكون معانا عواد...

لأ لأ. ممكن نوسة تخاف على الفضيحة اللي هاتحصل وولادها هايتأثروا بيها، وخصوصًا إن عندها تلات بنات،

يبقى الحل إن أنا أحط خطة تكون محكمة أقدر بيها أخلّص الموضوع، ويكونوا تحت إيديّا فى أي وقت.

"هكذا فكّر "ماضي"، وكان هذا حديثه بينه وبين نفسه بعد أن نزلت "نوسة" من السيارة، وقبل أن يتصل بـ "فؤاد" صديقه، ليدور بينهما هذا الحوار":

_ واحشني يا عم وعايز أشوفك، وكمان عايز أتكلم معاك في الموضوع اللي حكيت لك عليه قبل كدا.

* أيوا.. أيوا بتاع حنين وشكرات، أنا لسّه في الشركة، تعالى أنا قاعد هنا شوية علشان معايا حبة شغل، على ما تيجي بالسلامة أكون خلصت الشغل، ونخرج نقعد في أي مكان ونتكلم.

* إيه يا راجل الغيبة دي كلها؟ حتى لا بتجيني الشركة، ولا حتى بتتصل بقالك مدة كبيرة، حتى أنا الشهر دا كله معظمه مقضّيه هنا في القاهرة.

_ ها.. قدامك كتير؟

علشان أنا عايز أتكلم معاك.

* لأ، أنا خلاص باشيل المستندات والأوراق أهو، وهاقوم خلاص؛ علشان نلحق نقعد شوية مع بعض، علشان انت واحشني قوي، وكمان يمكن أقعد في الإسكندرية أسبوعين من بكرة.

_ طيب علشان عايز أتكلم معاك كتير، وهاسافر معاك اسكندرية.

*** احكي لي الدنيا عاملة معاك إيه يا ماضي؟**

_ مش عارف أقول لك إيه؟

الموضوع إياه، مش لاقي له حل، وشاغل كل تفكيري، ازاي بعد العمر دا كله البنت تعرف إن لها أب تاني غير الأب اللي ربّاها ومكتوبة على اسمه؟

*** مافيش حاجة في الدنيا مالهاش حل يا ماضي، إلا الموت طبعًا.**

_ وموضوعي دا يافؤاد؟! غلبت فيه.

*** انت كلمت حد فى دار الإفتاء زي ما قلت لك؟ ورجال القانون؟ غيري طبعًا أنا وأخواتك!**

_ بصراحة، أنا لسّه مش عارف أروح احكي لهم الحكاية دي ازاي؟

*** لازم يكون فيه حل، ولازم تجري فيه يا ماضي من اللحظة دي، كل مدى الدنيا بتتلغبط وتتعقد بزيادة، انت ماتعرفش بعد كدا الدنيا فيها إيه!**

_ هي فعلًا بدأت تتعقد.

*** بدأت من أي ناحية؟ احكي لي يا ماضي كل حاجة.**

_ مـا أنـا قلـت لـك، انـا جـاي علشـان أروح معـاك اسـكندرية بكرة، علشان أقابل شكرات؛ لأنها قالت لي في التليفون إن فيه عريس جاي لـ حنين.

* وهاتقابلها إزاي وفين؟

_ أنا هاقابلها على الساعة خمسة بعد العصر، لكن هاتصل بيها قبل ما أوصل اسكندرية بنص ساعة، وهي هاتقول لي على المكان اللى هانتقابل فيه إن شاء الله.

_ خلاص أنا هاخلّي عربيتي هنا في القاهرة؛ لأني من إرهاق الشغل الفترة اللي فاتت مش قادر أسوق مسافة طويلة، وهاجي معاك فى عربيتك.

_ خلاص اتفقنا، أعدّي عليك امتى بكرة؟

* بعد الضهر إن شاء الله.

"جرس الهاتف المحمول الخاص بـ "ماضي" يرن، فينظر فيه ليرى رقم زوجته، فيعرف أنها تذكره بأن يأتي إليهم ويأخذهم من عند "رانيا" شقيقتها ليوصلهم إلى البيت؛ فيقول لفؤاد":

_ طيب إن شاء الله على معادنا بكرة.

في شقة "رانيا" قبل وصول "ماضي" ليأخذ زوجته وأولاده، كانت "ميرفت" تقف مع "رانيا" في بلكونة شقتها تتحدثان عن والدهما، وعن "سعاد" - أم ميرفت - ، وعن كل المتواجدين في عيد الميلاد، لتستهل "ميرفت" الحوار:

_ مين الراجل دا يا رانيا اللي انتِ مهتمة بيه؟

* راجل؟ أنهو راجل دا؟

_ الراجل اللي موجود هنا الطويل وشعره روزي.

* ما له يا ميرفت؟ دا رجل محترم فوق الوصف.

_ أنا ماقلتش حاجة عليه، أنا بسأل بس مين؟

* أنا ما اعرفش حد يا ميرفت مش محترم.

_ أنا تفكيري مش في كدا خالص.

* أنا مش فاهماكِ يا ميرفت بصراحة!

_ بصي يا رانيا.. احنا مش شقايق آه، لكن أخوات، وبافهمك من كل تصرفاتك.

* يعني عايزة تقولي لي ايه يا ميرفت؟!

_ شوفي بقى، انتِ اللي تقولي لي يا رانيا.

* مافيش أي حاجة من اللي في دماغك دي خالص.

_ يعنى انتِ عارفة ايه اللي في دماغي؟

* أكيد، مش انتِ بتقولي لي احنا أخوات وبتفهميني من تصرفاتي؟! أنا كمان بافهمك من نظرات عينيكِ وأسلوبك في الكلام.

_ أتمنى يا رانيا اللي في دماغي مايكونش صح.

* اتطمّني يا حبيبتي، أنا مش باعمل أي حاجة غلط.

_ أتمنى يا رانيا، جوزك مابيحرمكيش من أي حاجة، وأبوكِ كمان، خلّي راسه تبقى طول عمرها لفوق، في السما.

* اتطمّني وحطي في بطنك بطيخة صيفي.

_ طيب يا حبيبتي، أنا جوزي جِه، هاخد الأولاد وأنزل علشان هو مستني تحت، مش هايطلع، كل سنة وانتِ طيبة، والسنة اللي جاية تبقي في سعادة وهنا انتي وصلاح جوزك اللي بيعزك، هه!

"ميرفت" تنزل هي وأولادها ويركبون السيارة، وفى الطريق تستهل الكلام مع "ماضي" سائلة:

_ انت اتأخرت برّا كتير ليه كدا؟

أنا كنت فاكرة إنك هاتعقد ساعة أو اتنين وهاترن عليّا وتقول لي يلا اجهزي علشان نروّح، لكن لقيتك طوّلت قوي قلت أرن عليك أفكّرك لا تنسى إننا في عيد الميلاد عند رانيا.

* لا ما نسِتش، أنا قولت أسيبكم على راحتكم في عيد الميلاد؛ علشان تاخدي راحتك مع أهلك، وخصوصًا أختك اللي بقالي سنين ماشُفتهاش، ولا أعرف عنها أي حاجة،

ألا قولي لي: هي عاملة إيه مع جوزها الراجل المحترم المؤدب زينة الرجال؟

_ يااه! ايه الرضا دا كله يا سي ماضي؟!

لكن تقول بينها وبين نفسها:

"غريبة الكلام اللي باسمعه دا! أول مرة يجيب سيرة جوزها، يا ترى هو حد قال له حاجة ولا إيه؟ ربنا يهديكِ يا رانيا، أصل أنا عارفاكِ، ربنا يجيب العواقب سليمة".

* مالك يا مرفت قاعدة سرحانة كدا؟

مش عوايدك يعني!

_ لا أبدًا، أصل دماغي تقيلة شوية، يظهر علشان مش واخدة على السهر.

* مـافيش أحسـن مـن الاحتـرام، أقصـد احتـرام مواعيـد النـوم والصحيان.

_ عمومًا الاحترام والالتزام مافيش أحسن منـه فـي كل شـيء يا ماضي.

* الحياة لما بتكون مبنيّـة علـى الحـلال بتبقـى كلهـا بركـة، أمـا الحرام فآخرته الندم.

تسرح في الكلام مرة أخرى، وتقول بينها وبين نفسها:

"إيه بس اللي جاب الحرام والحلال فـي اللـي احنـا بنقولـه دا؟ أكيد طبعًا ربنا، وربنا يهدينا جميعًـا، أقصـد ربنـا يعيننـا جميعًـا على وقتنا وأيامنا وحياتنا اللي جاية.

* لما نقرّب من ربنا ونبعد عن أي شـيء يغضبه، أقول لـك.. ربنا يهدينا ويهدي الناس كلها.

_ يارب، حمدًا لله على السلامة.

* باقول لك إيه يا ميرفت؟

هما بابا وماما كانوا لسّه موجودين فوق وانتِ نـازلة؟

_ أيوه، بس كانوا بيستعدوا علشان ينزلوا.

* لسّه فيه نـاس من أصدقاء أختك كانوا لسّه فوق؟

_ أيوه، بس مايجيش خمسة أو ستة بالكتير، الساعة كانت داخلة على واحدة، وبقينا بعد نص الليل، أكيد كلهم زمنهم دلوقتي مشيوا، هم يعني هايباتوا فوق؟!

راحت "ميرفت" في تفكير عميق، وقد تملّكتها الدهشة، وتردد بينها وبين نفسها:

"هو ماضي بيسأل فيه ناس فوق ليه؟!"

وبعد أن نزلوا من السيارة ودخلوا العمارة...

* افتحي يا ميرفت انتِ الباب، يظهر نسيت المفاتيح بتاعتي عند فؤاد، وهارجع أجيبهم بسرعة علشان هو مسافر الصبح.

_ طيب ما تجيبهم الصبح.

* يا ستي باقول لك هو مسافر الصبح، وممكن ينساهم.

بعد ربع ساعة من وصوله عند عمارة "رانيا"، يرى رجلًا يدخل العمارة عندها، بنفس مواصفات "حسيب المنياوي"؛ فيسير خلفه متخفيًا، حتى وصل شقة "رانيا"، ودق جرس الباب، ودخل.

كـان "ماضـي" واقفًـا قبـل الـدور الـذي تسـكن بـه "رانيـا"، وانتظر عشر دقائق، ودق جرس الباب في وقت كانت "رانيا" به مع "حسيب" في غرفة نومها، حتى وصل الشك ذروته لدى الجميع، فـ "ماضي" يُفكر فيما يحدث، و "رانيا" تفكر في من على الباب!

فكل الحاضرين ذهبوا بعد عيد الميلاد، حتى والدها ووالدتها.

_ أنا خايفة أفتح يا حسيب، مين جاي في الوقت دا؟

* لازم تفتحي، افرضي حد من أهلك، هايقول إنك نزلتِ في الوقت دا؟ يا إما هايفتكر إنك تعبانة.

_ خايفة قوي.

* افتحي وأنا هاستخبّى في الحمام، واعملي نفسك نايمة في سابع نومة.

"دار هذا الكلام بينها وبين "حسيب"، في وقت لم ينقطع فيه جرس الباب عن الرنين، حتى لم تجد مفرًا إلا أن تجيب على مَن بالباب":

_ مين اللي على الباب؟

* أنا يا رانيا، افتحي بسرعة.

_ خير يا ماضي فيه حاجة؟

أصل أنا بملابسي الداخلية، وأخدت حباية مهدئة من صداع طول الليل.

* حطي أي حاجة على جسمك، دول دقيقتين، أنا جاي في موضوع مهم جدًا علشان مصلحتك انتِ.

_ يعني الموضوع دا ماينفعش يتأجل للصبح لأني مش قادرة؟!

* باقول لك موضوع مهم وخطير كمان، هانتناقش فيه بسرعة وهامشى على طول، حطي حاجة يلا عليكِ زي ما قلت لك.

_ ثواني، هافتح.

* معلهش، الموضوع لو قعد للصبح هايبقى فيه شوشرة كبيرة.

_ شوشرة لمين؟

* شوشرة ليكِ طبعًا

_ ليّا أنا؟!

*** أيوه، وأنا مستني الأولاد علشان ينزلوا من عندك، كان فيه واحدة ست واقفة تحت العمارة، كانت بت...**

"لم يكمل كلمته، ليلفت انتباهه أن على الطاولة علبة سجائر ومفاتيح سيارة، و "رانيا" لا تمتلك سيارة من الأصل"

*** إيه دا يا رانيا؟!**
هو فيه حد نسي علبة السجاير عندك هنا؟ إيه دا وولاعة؟ وكمان الموبايل!

أمممممممم بتاعت مين الحاجات دي؟!
_ أمممممم، أصل!
ماعرفش بتاعة مين! ممكن حد من أصحابي في النادي نسيها،

باقول لك.. خلينا في الموضوع المهم اللي انت جاي علشانه، ايه هو الموضوع المهم والخطير زي ما بتقول وفيه مصلحة علشاني.

*** طيب ممكن اللي مستخبي في الشقة يطلع؟**
اظهر وبان وعليك الأمان.

_ حد مين اللي مستخبي؟

انت بتقول إيه؟ انت كدا بتطعنني في شرفي، ومعناه كمان إنك بتتهمني كمان بالخيانة، ودا مش هاسكت عليه، أنت فاهم؟

* لأ، فيه حد في الشقة يا رانيا، تحبي أأكد لك؟

"وقلبها يكاد ينخلع من صدرها":

_ تأكد لي؟ تأكد لي إيه؟!

أنا مش فاهمة منك أي حاجة، انت بتقول إيه أصلًا؟

كان "ماضي" قد أخذ رقم "عواد" من "نوسة"؛ ليبعد النظر عنها، فيتصل به:

* الو..

~ مين معايا؟

* العصفور في القفص وحابسه، اتصل بمدام حسيب المنياوي، وخليها تتصل على موبايل جوزها دلوقتي حالًا.

_ حاضر.. حاضر.

~ الوو، نوسة باقول لك إيه؟ اتصلي على موبايل جوزك دلوقتي، ماضي اتصل بيّا وبيقول لي العصفور في القفص وحابسه.

- أيوه أيوه، خلاص فهمت يا عواد، بعدين هابقى أقول لك.

"وبعد أن أصدر هاتف "حسيب المنياوي" رنينه باتصال من رقم زوجته"

* عرفتَ إن فيه حد عندك في الشقة يا رانيا؟

عارفة مين اللي بتتصل دي؟ دي المدام بتاعة البيه اللي مستخبي عندك جوّا، ودا موبايله.

"تنهار "رانيا" من البكاء، وتجلس على الأريكة، كما لو أنها وقعت من أعلى العمارة، في وقت يخرج فيه "حسيب المنياوي":

* أنا عندي شهود يا حضرات على إن فيه علاقة بينكم من زمان، وكل تحركاتكم ومقابلاتكم في النادي وفي الشقة هنا كمان.

_ استر عليّا يا ماضي، أنا في الأول والآخر أختك برضه.

* انتِ لو أختي بجد! كنت قتلتك انتِ والحيوان دا.

" لينطق "حسيب" مرتعشًا":

= صدقني دي آخر مرة يا ماضي بيه، وكل واحد مننا هايروح لحاله، دي ذلة شيطان.

* ياااااه! بالبساطة دي؟ دي خيانة يا حضرات، دي فيها سجن،

وشرف الراجل عديلي اللي غاب واستأمنك على شرفه يا عديمة الشرف،

وانت كمان مش تتقي الله في مراتك؟

انت ماعندكش أولاد؟ أكيد عندك بنات، انت إيه يا بني آدم؟

مش خايف على بناتك؟ كما تدين تدان.

"رانيا" محاولة استعطاف "ماضي" بشتى الطرق":

_ أنا إنسانة يا ماضي، وليّا مشاعر،

أنا ست ضعيفة، أنا مظلومة يا ماضي صدقني، جوزي راجل كبير، واكتشفت إنه مريض، وأنا غصب عني ضعفت.

* دا مش مبرر للخيانة، الخيانة مالهاش مبرر، الخيانة خيانة، كنتِ طلبتِ منه الطلاق، وبعدين فرقت إيه؟ ما الكائن دا يقارب على سن جوزك، هو يعني دا كان صغير؟!

ولا انتِ بتحبي الكبير دايمًا؟

_ يا ماضي باقول لك صلاح مريض، يا ماضي افهمني.

* كنتِ اتطلقي، انتِ مامعاكيش منه عيال، لكن انتِ طماعة، عايزة كل حاجة، عايزة الفلوس، وعايزة القرف دا.

ليرد "حسيب المنياوي":

= صدقني يا ماضي بيه، دي تاني مرة آجي فيها هنا، وأحلف لك إنه ماحصلش بيننا حاجة كبيرة.

* بلاش تحلف؛ علشان مش هاصدقك، ولا أي حد في الدنيا هايصدق؛ لإنه معروف (ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما)،

عايز تقول لي كانت لابسة لك قميص نوم وماحصلش حاجة؟ هي نفسها بعضمة لسانها قالت لي وأنا على الباب: أنا بملابسي الداخلية.

= لا هي كانت بتقول لك كدا علشان ماتدخلش، صدقني.. وتحس إن فيه حد معاها في الشقة.

* قصدك فيه حيوان ندل خسيس معاها في الشقة.

= اللي تؤمر بيه يا ماضي بيه، أنا من إيدك دي لإيدك دي.

* منظرك إيه قدام مراتك؟

وهي عارفه إنك مظبوط متلبس مع واحدة في شقة دلوقتي؟

= وعد مني دي آخر مرة، أنا خلاص مش هاورّيها وشّي تاني بعد الساعة دي.

* مطلوب مني إيه دلوقتي؟

لينطق الخائنان في نفس واحد:

اللي تؤمر بيه.

* طيب كل واحد يمضي لى على ورقة على بياض؛ علشان أضمن إنكم خلاص مش هاتشوفوا بعض تاني، أنا كان ممكن أجيب البوليس وتتظبطوا متلبسين مع بعض، لكن أنا خُفت من الفضيحة اللي هاتحصل للأهل، وعلشان خاطر أخت الهانم.

تحضر "رانيا" الورق الأبيض ليوقّعا عليه، فيقاطعهما "حسيب":

= الشيك على بياض أقوى وأضمن يا ماضي بيه، ودا علشان تعرف إن نيتي توبة نصوحة، وإني مش هاهوّب هنا أبدًا، ولا هأعرفها تاني، وبكدا تقدر تحبسني.

* انت هاتعرّفني؟! أنا هاجيب منين شيكات الساعة دي؟

= أنا معايا يا ماضي بيه دفتر شيكات على بياض، هانزل أجيبه من العربية وأطلع حالًا، العربية أنا راكنها جنب العمارة.

الفصل التاسع

(المراوغة)

"حسيب المنياوي" ينزل من شقة "رانيا" مدعيًا أنه سيأتي بدفتر الشيكات من سيارته، فيفتح التابلوه، ويأخذ هاتفه المحمول المتواجد بجوار دفتر الشيكات، فهذا هو الهاتف الخاص بالعمل والعملاء، فأخذه واتصل من خلاله على هاتف "رانيا" .

= أنا مش طالع يا رانيا، أنا هاتصرف،

أول ما أقفل معاكِ صرّخي، ولو حد صحي من الجيران قولي إن دا جوز أختي بيتهجم عليّا؛ علشان جوزي مسافر وأنا لوحدي في الشقة.

_ أنا كويسة يا بابا، سلم لي على ماما.

وتصرخ صرخات استغاثة، و "ماضي" يهدّئها؛ لكي تكف عن الصراخ، كان يظن أن "حسيب" سوف يعود بدفتر الشيكات، وهو في موقف صعب؛ لأن زوجته تعلم أنه عند صديقه الآن....

_ على فكرة.. هو مش راجع هنا تاني، وانت هاتمشي، وإلا هاعمل لك فضيحة هنا دلوقتي وأقول إنك كنت بتتهجم عليّا علشان قاعدة لوحدي وجوزي مسافر.

* يااااه! كدا؟

الموبايل دا هايروح لمراته دلوقتي،

لأ لأ.. أقول لك ، أنا هاتصل بمراته تيجي تاخده من هنا أحسن.

_ هأ هأ هأ، وجبت رقم مراته منين؟

* لا ما أنا هاتصل على اللي بلّغها يتصل بيها ويدّيها رقمي، أو تيجى بنفسها تاخد موبايل جوزها من هنا.

_ زمان حسيب روّح، وقال لمراته إنه نسي الموبايل هنا، عادي كنت عازماه من ضمن أصدقاء النادي، وهو صديق من النادي.

* فِكرك هاتصدقهُ؟!

_ المهم تقدر انت تثبت علينا حاجة، أهم حاجة مافيش عليّا أنا أي دليل.

* فيه شهود.

_ أهم حاجة إن مافيش حالة تلبس،

حتى لو فيه ملايين الشهود ماحدش مسكني متلبسة،

كمان مافيش حد شافه معايا واحنا لوحدينا في الشقة،

دي كلها شكوك وظنون منك، ومافيش غيرك انت، وانت خلاص مافيش في إيدك حاجة.

* لأ، فيه واحد قريبها سمعه وشافه وهو داخل عندك في الشقة دي قبل كدا.

_ دا واحد قريبها، ولازم يكون موالس معاها علشان فيه بينها وبين جوزها خلافات وهي بتنتقم منه.

* آآآآآآه يا عاهرة، فعلًا دا أسلوب وكلام واحدة عاهرة.

_ لو مامشيتش من هنا حالًا هاصوّت تاني، وهاخلّي سكان العمارة تيجي تشوفك وانت هنا في وقت متأخر زي دا، وتشوف مين فينا اللي غلطان، عايز توّدي نفسك في داهية، استنى هنا دقيقة واحدة، أو حتى تحاول تقرّب مني.

* آه يا مجرمة ياعديمة الشرف والربابة.

_ اطلع برّة، وسيب الموبايل اللي في إيدك، دا بتاع واحد من أصدقائي اللي جُم عيد ميلادي ونسيه عندي، وانت طمعان فيه.

تتصل "رانيا" على الرقم الذي تحدث إليها "حسيب" من خلاله، وهو ما زال في السيارة..

_ ماضي مشي، وخلّيته ساب الموبايل كمان، يعنى الموبايل بتاعك معايا، اطمّن، وأنا مستنيّة النهار بس يطلع، وأنزل

أروح عند بابا؛ بحجة إني قلقانة وقلبي مقبوض مش عارفة من ايه، علشان لو حد حب يعمل حاجة مش هايلاقيني، وانت اتصرف بهدوء، وانكر أي شيء، لا ربما تحصل أي ظروف، يلا سلام.

"حسيب" يدخل شقته مطمئنًا، وكانت "نوسة" في حالة من التوتر والقلق، تنتظر عودة زوجها بفارغ الصبر.

_ تسمح تقول لي جاي منين دلوقتي؟

* أنا كنت سهران مع تجار علشان كنا بنتفق على شغل.

_ شغل؟

شغل إيه لحد دلوقي؟

* أصل قابلت الناس اللي قابلتهم دول متأخر؛ لأن كان ورايا كذا مشوار، ودول عملاء مهمين، وباتعامل معاهم من زمان.

_ بتتعامل معاهم من زمان، آآآآآه.

* آه، ولازم كنت أقابلهم ضروري، لكن همّا اللي اتأخروا على الميعاد اللي بيننا لظروف خارجة عن إرادتهم، البضاعة اللي

كانوا جايبينهالي كان فيها غلطة، فقلت أقضّي أنا كام مشوار ورايا.

_ فعلًا، هي غلطة، وغلطة كبيرة كمان.

* أنا باحب كل تعاملاتي تكون مظبوطة.

_ مظبوطة دايمًا في مرواح الشقق، قصدي دايمًا مظبوط في شغلك.

* طبعًا طبعًا يا حبيبتي، ما انتِ عارفة.

_ حبيبتك؟! آه، طيب ما اتصلتش بيّا ليه علشان تطمّني عليك.

* أصل الموبايل بتاعي نسيته عند ناس كدا، اللي رُحت لهم دول، بعد ماقابلت التجار، قصدي قبل ما أقابل التجار.

_ ناس مين دول اللي نسيت موبايلك عندهم؟

* صديق من النادي، كنت باعمل معاه الواجب.

_ وعملت الواجب معاه ولا مالحقتش؟

* لا أكيد عملت الواجب طبعًا.

_ وبتعترف كمان إنك عملت، يااااه!

* إيه؟! هو عيب الواحد يعمل الواجب.

_ لأ، حرام.

* حرام؟! هو إيه اللي حرام؟!

_ حرام عليك تقلقني بالشكل دا.

* آه، باحسب.

_ تحسب يا حسيب؟!

* الله الله! فيه إيه؟ مال كلامك كدا؟ فيه لهجة غريبة مش عارف!

زي ما يكون بتتريقي عليّا!

_ أنا! لا باتّريق ولا باكدب.

* بتكدبي؟!

حد قال إنك بتكدبي؟

_ علشان انت اللي بتكدب يا حسيب.

*** أنا اللي بكدب؟!**

مين قال إني بكدب؟!

_ علشان أنا عارفة ومتأكدة إنك بتكدب عليّا يا حسيب.

*** متأكدة؟ إزاى متأكدة؟ وإيه اللي هايخليني أكدب؟**

_ لما الواحد يكون بيعمل حاجة غلط بيكدب.

*** إيه الغلط اللي أنا باعمله؟**

_ عايز تعرف الغلط اللي بتعمله؟

لما الواحد يروح شقة لواحدة في وقت متأخر، وواحد يظبطه معاها، يبقى دا إسمه إيه؟

*** بتتكلمي عن مين مش فاهم؟!**

_ باتكلم عليك انت طبعًا يا حسيب؛ علشان الموبايل اللي بتقول إنك نسيته عند ناس كدا، - دا لو كنت نسيته أصلًا-، لكن انت مانسيتوش؛ لإن اللي ظبطك عندها بلغ عواد ابن خالتي، وعواد قال لي إنك موجود دلوقتي في الشقة عند الست إياها.

* اللـي بلـغ عـواد دا إنسـان كـداب، بيوقّـع بينـي وبينـك، هاتيهولي كدا، وأنا أقول له في وشّه إنك إنسان كداب.

_ أكيد الوشوش هاتتقابل كلها يا حسيب، لكن شوف انت منظـرك هـايكون إيـه؟ لازم تصـارحني علشـان نلحـق نلـمّ الموضوع.

* أنـا هـاقول لـك الصـراحة، أنـا نسـيت الموبايـل عنـد واحـدة صديقة من النـادي، وكانـت عازمـة أعضـاء من النـادي كتير، وأنـا علشـان كـان ورايـا كـام مشـوار، دمـاغي كانـت مشـغولة، نسيته عندها ومشيت أشوف اللي ورايا.

_ ماعرّفتنيش يعني إن ليك أصدقاء من النـادي ستات، طيب ليـه مـاعرفتنيش علـيهم يعنـي؟ علـى الأقـل كنـت أروح معـاك أعياد الميلاد بتاعتهم، ولّا إيه؟

* أنا خُفت بقى من الغيرة، وحافظت على شعورك.

_ تحافظ على شعوري؟!

وتضيّع سمعتك؟!

* مافيش ضياع ولا حاجة، ماتقلقيش، أنا تمام الحمد لله.

_ المهم الموبايل بتاعك دا، أنا عايزاه ييجي من غير شوشرة، وماتروحش أعياد ميلاد حد تاني.

* من عينيّا، أنا ليّا بركة إلا انتِ ياعمري، سماح المرة دي، أنا مش رايح أعياد ميلاد حد تاني خلاص.

"ماضي" يصل إلى بيته كأنه ارتكب مصيبة، وحالته النفسية سيئة للغاية؛ لأنه كاد أن يمسك في يديه الشيء الذي يجعل عائلة زوجته، وأيضًا زوجته نفسها تحني رأسها، وتمتنع عن التعالي والتكبّر والعنجهية الفارغة التي أصبحت فيها منذ أن تزوجته، لكن اتضح أن "رانيا" إنسانة ليست بالمرأة السهلة واللينة، فهي تعاونت مع "حسيب المنياوي"؛ حتى يفلتا من قبضة "ماضي"، فكان عقله مشغولًا للغاية، لأنه وعد "نوسة" أنه سوف ينهي لها موضوع زوجها، لكن الآن.. أصبح لا يوجد ما يمنع "رانيا" و "حسيب المنياوي" من أن يلتقيا، فهو لا يستطيع أن يسير خلفهما، أو أن يخصص أحد لمتابعتهما في كل مكان.

_ ما كنت تبات برّة بالمرة!

كل دا عند فؤاد بتجيب المفاتيح؟

مش بتقول الراجل مسافر الصبح؟!

يعني كدا رُحت سهّرته وهو أكيد هايقوم بدري، وأكيد هو اللي هايسوق عربيته بنفسه.

* فعلًا.. رُحت لقيته تعبان من كتر الإرهاق في الشغل، وفضل يكلمني إن مافيش حد بيساعده، ومابقاش عنده ثقة في حد، من كتر اللي بيحصل من سرقة ونصب.

_ ليه هو مش عنده أولاد أو أخوات يساعدوه؟

* تقريبًا كان قايل لي إن ابنه معيد في الجامعة، وبنته بتدرس إعلام.

_ ليه انت ماكنتش تعرف قبل كدا حاجة عن أولاده؟

* النهار دا أول مرة كان يكلمني عن حاجة تخصهم، وبكرة هاروح أوصله اسكندرية بعربيتي؛ علشان هو فعلًا تعبان جدًا جدًا من إرهاق الشغل، وكمان بقى لي فترة طويلة مازورتهوش في اسكندرية.

_ طيب يلا اتعشى لقمة خفيفة كدا؛ علشان تقدر تقوم بكرة مرتاح.

الفصـــل العـــاشر

(هم المواجهة)

"ماضي" يذهب إلى الأسكندرية، ولكنه يحمل هم المواجهة مع ابنته، ويتساءل هل أن الشعور الذي ينتابه صادق؟ ويسأل نفسه أيضًا كيف ستكون المواجهة وعواقبها، رغم أنني أنطق الكلمة بكل يسر وسهولة وبارتياح شديد، وهذا ما يؤكد له أنه شعور صادق .. وأنها ابنته ومن لحمه ودمه".

"شكرات" ساهرة طوال الليل، فلم يزرها النوم، قلقة من مقابلة "ماضي" غدًا، لتطمئن عليه وتقص عليه موضوع "حنين"، وتسأله عن حياته القادمة كيف ستكون؟

وقبل نزول "ماضي" من البيت للسفر إلى الأسكندرية مع صديقه "فؤاد"، تستهل "ميرفت" الكلام:

_ أكيد مش هاتلحق ترجع من اسكندرية في نفس اليوم، دا هايبقى إرهاق عليك.

* أكيد، بس لو قدرت أرجع، هارجع -بمشيئة الله تعالى-.
_ طيب أنا هابقى أروح عند ماما النهار دا شوية إن شاء الله.
"يومئ برأسه بالموافقة".
يقارن "ماضي" أثناء نزوله سلم البيت بين "شكرات"، و"ميرفت" التي لم تبدِ له أي اهتمام يظهر مدى حبها له.

وبعدما ذهب إلى عمارة "فؤاد"، وتحركا إلى الأسكندرية، بدأ الحوار من "ماضي":

_ أنا قلقان من المقابلة دي، وأول مرة أقلق كدا، عامل زي الطالب لما يكون داخل لجنة امتحان، ومش مذاكر المهنج كويس.

* يااااه! للدرجة دي يا ماضي شايل هم المواجهة مع بنتك.

_ شوف انت بتقول إيه؟! بنتك؛ لأنها فعلا بنتي، رغم إن مافيش أي شيء يقول إنها بنتي،

لكن الكلمة نفسها طالعة لوحدها، سواء بقا طالعة مني، أو من أي حد تاني غيري، ودا أكبر دليل على إنها بنتي ومن لحمي ودمي.

* أكيد يا ماضي، مش ممكن تكون دي حكاية شكرات مألفاها، دي حياة إنسانة.

_ خايف لا الظروف تحكم النهار دا فعلًا، ويبقى مافيش مفر غير إني أقابل حنين ولو صدفة، حتى ولو من بعيد لبعيد، مش عارف أنا هاكون عامل إزاي؟! إحساسي هاياخدني لفين ساعتها؟ هل هاعرف أسيطر على مشاعري ولا لأ؟

* ماتسبقش الأحداث، ماحدّش عارف الظروف فيها إيه! خليها على الله.

_ الموبايل بيرن، شكرات بتتصل عليّا، أكيد عايزة تقول لي على المكان اللي هانتقابل فيه.

* طيب رد عليها بسرعة، وطمّنها إنك على وصول، فاضل ٣ كيلو

_ الو، أيوه يا شكرات، أنا قربت أدخل اسكندرية خلاص.

- أنا دلوقتى مستنياك على الكورنيش قدام جامع المرسي أبو العباس؛ لإني بعدت عن المنطقة اللي أنا ساكنة فيها خالص.

_ طيب تمام، كدا كويس، أنا عارف المكان، مسافة السكة وأكون عندك بإذن الله.

- توصل بالسلامة إن شاء الله.

_ بركاتك يا سيدي المرسي يا أبو العباس.

* انت كدا هاتروح بحري؟

_ أيوه يا فؤاد، عند جامع المرسي أبو العباس.

* طيب أنا هانزل هنا على القمة اللي جاية دي، وقت ما تحس إنك قرّبت تروّح اتصل عليّا، هابعتلك الدكتور عمر ابني يجيبك هنا المنتزة؛ علشان تبيّت ونشوف ايه اللي تم، أنا هادّي له رقمك علشان يبقى على تواصل معاك ويجيبك على الفيلا الجديدة.

_ ربنا يسهل، مش عارف الدنيا فيها إيه يا فؤاد.

"فؤاد" يجلس على طاولة السُفرة، يتناول الغداء مع زوجته "منال" وابنته "لبنى"، دخل الدكتور "عمر"، وهو يدندن:

~ الحب جميل للي عايش فيه، اسألوني اسألوني عليه...

ليُلبي والده طلب الأغنية:

_ أسألك أنا يا دكتور عمر.

~ بابا؟ حمدًا لله على السلامة يا بابا.

"يضع حقيبته، ويعانق والده بشوق ولهفة، ويجلس معهم على طاولة السفرة، ويرحب بوالده"

_ كُل يا دكتور، مالك كدا؟ خاسس شوية عن ما شُفتك المرة اللي فاتت، ايه مامتك مش واخدة بالها منك ولا إيه؟

~ بالعكس يا بابا، ماما دي مافيش زيّها في الدنيا، وواخدة بالها من كل حاجة في حياتي، ربنا يخليها لينا يارب ويخليك يا بابا.

_ عينيك بتلمع، باين عليك مزاجك عال العال.

~ الحمد لله يا بابا، الحياة ماشية تمام.

_ الحياة بس اللي ماشية تمام؟ ولّا فيه حاجة تانية يا دكتور هي اللي تمام ومخلّية مزاجك حلو قوي كدا؟ أول مرة أسمعك بتدندن، وإيه كمان! عن الحب يا سلام! طيب يلّا شدّ حيلك كدا علشان نجوزوك، انت دكتور قد الدنيا ومن عيلة، يعني بنات العائلات كتير، وألف واحدة تتمنى تتقدم لها.

~ ربنا يسهل يا بابا إن شاء الله.

ترد "منال" على زوجها:

= وفّرت عليّا الكلام والله يا فؤاد، أنا كنت هانكلمك النهار دا في نفس الموضوع، بس طالما الكلام جاب بعضه كدا لأن عمر كان قال لي ابقي فاتحي بابا في الموضوع دا، وهو بقى يبقى يكلمك بنفسه، ويعرفك بنت مين، ومن عيلة مين.

_ طبعًا يا عمر يا ابني، لازم تكون ليها أصل وفصل، يعني بنت ناس مأصلة وأخلاقها عالية، وتكون دكتورة أومهندسة مثلًا، شهادة عالية زيّك كدا.

~ طبعًا طبعًا يا بابا يا حبيبي، هي بنت حلال قوي، وكلها أيام بسيطة وهاتكون معيدة في نفس الكلية، وأنا متوقع لها كدا

من ساعة ما عرفتها وعرفت منها تفاصيل عن حياتها، وإن والدها المرحوم حاتم المنسي صاحب شركة بيع واستثمار الأراضي والعقارات، ووالده كان مقاول معروف في اسكندرية بحالها سليم المنسي، بس والدها وجدها متوفيين –الله يرحمهم-، وليها أخ وأخت، وقالت لي إن أخوها بيكمل دراسته وهايمسك هو الشركة ويديرها بعد ما يخلص؛ لأنه لسّه شاب صغير وخبرته يعني مش كفاية.

"ماضي" يلتقي بـ "شكرات" على الكورنيش أمام جامع المرسى أبو العباس...

* ياااه! أخيرًا اتقابلنا تاني؟ يا رب تكون الأيام اللي فاتت عليكِ أيام سعادة واستقرار.

- الحمد لله، كانت أحسن؛ لأنك كنت مصدر سعادتي، علشان مابطلتش ثانية واحدة تفكير فيك من ساعة ماسبنا بعض في القاهرة.

* لسّه بتفكري فيّا تاني يا شكرات بعد العمر دا كله؟ احنا خلاص بقا كبرنا، احنا نفكّر بقا ازاي نسعد ولادنا، ازاي نسعد حنين.

- آآه حنين، إلا حنين يا ماضي، موالها موال، مش عارفة، خايفة من المواجهة بجد.

* أنا أكتر منك يا شكرات، صدقيني أنا ماكنتش بانام الأيام اللي فاتت دي.

- طمّني على صحتك وشغلك، طمّني على كل أحوالك يا ماضي.

* أنا بخير طول ما انتوا بخير.

- إحنا مين يا ماضي؟

* انتِ وحنين.

- آآه، باحسب! فهمني كدا بقا.

* بتحسبي إيه مش فاهم؟

- باحسب حد تاني، واحنا لأ.

* ازاي بقا؟! ماكنتش جيت هنا مخصوص علشان أطمّن عليكم بنفسي، وأعرف كل شيء عنكم، وكمان انتِ قلتِ لي في آخر مكالمة تقريبًا يا أبو العروسة.

- طبعًا، وأحلى عروسة، وأحلى دكتورة في الدنيا بحالها.

* احكـي لـي إيـه الموضـوع يـا شـكرات، طمّنينـي، قصـدي فرّحيني.

- فيـه دكتـور مـن عيلـة كبيـرة هنـا فـي اسكندرية، ومعيـد فـي الجامعة، بيدرّس لها كمان في الجامعة، شـافها وأعجب بيهـا، وهي طبعًا قالت لي عايز ييجي يفاتحني، بس لما يفاتح أهله الأول.

* دلـوقتي بـس يـا شكرات أقول لـك: آدي نتيجـة اللـي حصل، آدي نتيجـة الكدبـة اللـي كـدبتوها انـتِ والمرحـوم أبـو أولادك، وهاتدفع تمنها دلوقتي حنين بنتي، اللي مش عارف هاتقولي لها إيه لو الناس جُم علشان يطلبوها؟

- أنا فعلًا في حيرة، أنا يمكن زيك وأكتر، مش عارفة أنام من كتر التفكير فيها وفي الموضوع دا، وجبتك هنا علشان تفكر معايا وتقولي وتشور عليّا أعمل إيه؟

* مش عارف هاتصارحيها انتِ باللي حصل زمان دا ازاي؟ وهاتبقى مجازفة كبيرة مش هاندرك أبعادها دلوقتي، بس الأكيد إنك فعلًا هاتفتحي النار من كل ناحية.

- والحل إيه يا ماضي؟ أنا ممكن اتفاجيء بالناس جايين بكرة، أو ممكن في أي لحظة والده يكون جه من القاهرة، علشان الدكتور عمر يفاتحه وهايجيبوه على طول، دا غير ابن عمتها زينات برضه هو كمان عايز يرتبط بيها ووالدته جات علشان تفاتحني، بس أنا ماليش غرض في الارتباط دا، خصوصًا إنه عايزها تسافر معاه إيطاليا، لأن هو شغله كله هناك، وكمان العريسين مايترفضوش؛ الدكتور عمر، وعلاء ابن اخت المرحوم، لكن على الأرجح الإنسان اللي هي مرتاحة له ميّة في الميّة هو دا اللي هايتم الموافقة عليه لما ربنا يسهل إن شاء الله.

* الأهم من دا كله، انتِ ازاي هاتفاتحي حنين وتقولي لها الحقيقة؟ ودا ممكن يأثر على دراستها، دها غير إنه هايكون موجود حد من أهل المرحوم، وأكيد لازم هايحضر الاتفاق، ودا الطبيعي يا شكرات، اسمعي باقول لك إيه! انتِ تأجلي أي كلام في موضوع الارتباط دا، بحجة إن مافيش أي شيء هايتم إلا لما نتيجة البكالوريوس تبان، يمكن تكوني قدرتِ تقولي لـ حنين الحقيقة.

- مش عارفة يا ماضي هاقدر أقول لها ولا لأ، مش عارفة بجد، الموضوع لما بيدخل في الجد بتبان صعوبته قوي، علشان كدا زي ما باقول لك، أنا جبتك هنا نفكّر سوا مع بعض بصوت مسموع.

* طيب أنا عايز أشوفها، عايز أقابلها، قولي لي أعمل إيه؟ والحل إيه؟

- ما أنا قلت لك زمان، تتعرف عليها بصفتك خالها اللي كنت مسافر أوروبا ورجعت بعد السنين دي كلها بحجة بلدك وأهلك وحشوك، أنا هافاتح أمي وأكلمها علشان تتفقوا مع بعض وتيجي معاهم زيارة بعد بكرة -الجمعة-، ما أنا قلت لك أنهم جايين يوم الجمعة.

* تاني يا شكرات؟ هانكدب تاني؟ والمرة دي أنا وأهلك هانشترك في الكدبة؟

- معلهش، واحدة واحدة لحد ما نخلّيها تاخد عليك، ونبقى نشوف إحساسها بيك هايكون إيه؟ ومن خلاله هايتضح المسار اللي هانمشي فيه.

* رغم إني خايف وقلقان من التصرفات الخطيرة دي، لكن مافيش قدامي غير كدا، (وحاجة في نفس يعقوب).

* ربنا يقويني، وأقدر أتكلم معاها في أي حاجة النهار دا.

رقم غريب يتصل على هاتف "ماضي"، فيقول بينه وبين نفسه:

"ممكن يكون رقم الدكتور عمر ابن فؤاد!"
* ألو، أيوه، أيوه يا دكتور، أنا عمو ماضي.
~ كان بابا قال لي أتصل علشان آجي آخد حضرتك لو كنت خلصت المشوار بتاع حضرتك.

* أيوه يا دكتور خلاص خلصت، انت فين دلوقتي؟
~ أنا لسّه خارج من الفيلا وجاي آخد حضرتك، بس قدامي ربع ساعة بالكتير؛ لأني هاجي فى تاكسي أجرة، علشان يبقى سهل، وأكون جنب حضرتك وانت سايق.

_ تمام يا دكتور، أنا هاكون موجود قدام المرسي أبو العباس، على الكورنيش، طيب يا دكتور توصل بألف سلامة.

شكرات:

- مين الدكتور عمر دا اللي هاييجي ياخدك؟ وهياخدك لفين؟ وهو انت ناوي تسافر النهار دا القاهرة؟ احنا عايزين نسهر شوية ونتعشى مع بعض يا ماضي، معقولة! معقولة تيجي فرصة إننا نتعشى مع بعض ومانتعشاش؟!

* بس فؤاد صاحبي مستنيني دلوقتي، وخلاص بعت لي ابنه الدكتور عمر علشان ياخدني؛ لإني ما اعرفش مكان فيلتهم الجديدة، من زمان ماجيتش اسكندرية.

- انت بتقول الدكتور عمر ابن صاحبك فؤاد؟!
يعنى اسمه الدكتور عمر فؤاد؟ معقولة يكون هو؟!
* أيوه، اسمه عمر فؤاد، انتِ بتقولي معقولة يكون هو، مين هو؟

- أصل اسمه هو نفس الاسم اللي حنين كلمتني عنه، اللي عايز يتقدم لها، واسمه الدكتور عمر فؤاد برضه.

* هو دكتور في إيه؟

- دكتور في الطب، ومعيد في كلية الطب جامعة الإسكندرية عند حنين.

* آه، أنا أعرف إنه دكتور، بس ماسألتش في التفاصيل.

- مش دا فؤاد صاحبك اللي كان زميلك أيام الجامعة؟ مش دا صاحب أشهر قصة حب مع زميلته، هي كان اسمها إيه؟

* اسمها منال.

- اسمها منال، أيوه.. أيوه صح، افتكرتها، اسمها منال صح، كانت سابقاني بدفعتين في الجامعة، بس أنا فاكرة إنهم اتجوزوا بعض وهما في الجامعة.

* فعلًا صح، اتجوزا وهما لسه طلبة في الجامعة.

"عمر" يصل إلى الكورنيش، وهناك على بعد أمتار قليلة، يجلس "ماضي" مع "شكرات"، والدكتور "عمر" يلتفت باحثًا عن "ماضي"، ويتصل به؛ ليعرف مكان وجوده على الكورنيش...

* ألو، أيوه يا دكتور عمر، أنت فين؟

~ أنا هنا على الكورنيش يا عمو.

رآه "ماضي" و "شكرات" في آنٍ واحد، بعد أن رفع يديه، فلوّح له "ماضي" بيده، قائلًا:

* أنا هنا يا دكتور.

"عمر" يصل إلى المكان المتواجد فيه "ماضي"، وبجواره "شكرات"، فيدقق "ماضي" فيه، وينظر متمنيًا أن يكون هو العريس الذي تحدثت عنه "شكرات" أنه سيتقدم لابنتهما، ثم يقوم "ماضي" ومعه "شكرات"، ويركب الدكتور "عمر" معهما السيارة، وفي الطريق تنزل "شكرات" أمام بيتها، والدكتور "عمر" كان يدقق في هذا المكان؛ لأنه كان بجوار محل شهير جدًا في الأسكندرية، وبالتحديد في هذه المنطقة، ويحدث الدكتور "عمر" نفسه:

~" مين الست دي؟ وإيه علاقتها بأونكل ماضي؟

في الطريق يدور حوار بين "ماضي" والدكتور "عمر"، ويسأله "ماضي" عن حياته وعمله:

~ أنا دكتور، ومعيد في كلية الطب جامعة اسكندرية، وقريب جدًا هانتقدم لبنت الحلال، بس هو مجرد وقت وترتيب معاد بين العيلتين.

"ويسرح "ماضي"، وينتبه على جملة الدكتور "عمر" وهو يقول له:

~ الشارع اللي جاي دا يا عمو، الفيلا اللي على اليمين دي.

* تمام يا دكتور عمر.

"ماضي" والدكتور "عمر" يدخلان إلى الفيلا، وفي انتظارهما "فؤاد" مرحبًا بصديقه "ماضي":

_ يا ألف مرحب بيك يا غالي، يا صديق عمري، نوّرت اسكندرية كلها.

* منورة بأهلها،
"وفي فرحة عارمة تتملكه": وبالدكتور عمر ابننا الغالي.

تأتى "منال" -أم الدكتور عمر-؛ لترحب بـ "ماضي"، وتذكره بذكريات الشباب أيام الجامعة، وبعدها تناولوا العشاء، ثم دار الحوار بين "فؤاد" و "ماضي" عن لقاءه بـ "شكرات":

_ طمّنني ايه الأخبار؟ وشكرات عاملة إيه؟

* الحمدلله يا فؤاد كله تمام.

_ طيب طمنني ايه جديد مع شكرات؟

* شكله كدا يافؤاد القدر هايلاعبنا من هنا وجاي.

_ ممكن فعلًا!

* كل حاجة جاية يا فؤاد هاتبقى أصعب علينا طول ما احنا مش قادرين نواجه البنت.

_ فعلًا، البنت دي بقت صعبانة عليّا قوي يا ماضي، لو هانفترض هايتقدم لها عريس زي عمر ابني كدا مثلًا، هاتعرّفوا على مين؟! على أهل والدها اللي رباها؟ ولا على باباها اللي خلّفها؟ اللي هي نفسها لسّه ماتعرفهوش؟!

* فعلًا، أنت كلامك صح.

_ يا ماضي، كل مدى الموضوع بيزداد صعوبة على البنت، وعلى كل اللي موجودين في حياتها.

* نفسي أشوفها يا فؤاد، حتى لو من بعيد لبعيد، أنا جاي تاني هنا اسكندرية بعد بكرة مع أم شكرات وأخواتها، وهادخل البيت وهاشوفها وهاسلم عليها يا فؤاد.

_ دي مخاطرة وأكبر غلط يا ماضي، انت مدرك أبعاد الخطوة دي إيه؟ هاتكلفكوا كتير.

* مافيش قدامي غير كدا يا فؤاد، ما أنا مش عارف أعمل إيه؟ كانت مامتها هي اللي هاتاخد الخطوة دي الأول، زي

ماقلت لك قبل كدا، دي غلطتها هي والمرحوم جوزها من البداية.

_ هى لازم تحاول تفهّمها واحدة واحدة.

* ربنا يسهل، أنا برضه هاتكلم مع أهل شكرات، ودول كمان حكايتهم هاتبقى حكاية؛ لأن أنا أساسًا عمري ما كلمت أمها، ولا أخواتها دول، غير مرة في التليفون كلمت أخوها عواد لظروف كدا .

_ أيوه صح.

* هاستأذن أنا، علشان ألحق أشوف المحل، وأرتب نفسي؛ علشان إن شاء الله هاجي تاني يوم الجمعة، لإني عايز أشوف الدنيا فيها إيه؟ وهانوصل لإيه في الموضوع دا.

_ اللي فيه الخير يقدمه ربنا إن شاء الله، بس هاتسافر ازاي؟ الوقت اتأخر وانت أكيد مرهق، ارتاح لك كام ساعة كدا، توكل على الله.

* إن شاء الله.

"شكرات" تدلف إلى غرفة "حنين"؛ لتطمّئن عليها، وتتحدث معها بعد لقاءها مع "ماضي":

- عاملة ايه يا حبيبة ماما؟

_ الحمد لله يا ماما.

- وعاملة ايه في الدراسة يا حبيبتي؟ وأخبار الدكتور عمر إيه؟ هو كلمك؟

_ آه كلمني من ساعة كدا يا حبيبتي، وقال لي إن باباه جِه النهار دا من القاهرة، وخارج علشان يجيب صاحب باباه؛ علشان مش عارف طريق الفيلا بتاعتهم الجديدة، وهايكلمني تاني بالليل إن شاء الله.

- كنت عايزة أطلب حاجة كدا منك يا حبيبتي.

_ طلب واحد بس يا ست ماما؟! مليون طلب.

- هو طلب واحد بس يا حبيبتي، إننا نأجل المقابلة بتاعت الدكتور عمر دي دلوقتي على الأقل أسبوعين تلاتة.

_ إزاي؟! إزاي يامامـا نأجلها أسبوعين؟! دا عمر مستعجل وعايز يفرّح باباه ومامته.

- طيب العمل إيه يا حنين؟ لازم نفكّر صح يا حبيبتي، عمتك زينات مش هاتسكت، وهاتقلب الدنيا علينا أكتر ما هي مقلوبة؛ علشان عايزة تاخدك لابنها علاء اللي عايش في إيطاليا.

_ ابنها مين دا؟ دا أنا ما افتكرش شُفته مرتين تلاتة في عمري كله، وكمان عمتي إيه اللي فكّرها بينا دلوقتي، إذا كانت هي مش بتيجي هنا إلا فين وفين، ولا حتى بتتصل، وكل سنة على ماتيجي يوم تشوف جدتي.

- اهدي يا قلبي.

_ طيب فهميني يا ماما، هاقول لعمر إيه دلوقتي؟

- يا حبيبتي أفهمك، احنا ناخدها خطوة خطوة.

_ ازاي يعني؟

- احنا نفرح بالتخرج، وبعدين الخطوبة.

_ يا ماما!! يا ماما دا اسمه تعارف بس، وبعدين الخطوبة دي هاتيجى بعدين، ولها ترتيبات تانية.

- ترتيبات تانية؟! ازاي؟

_ آه، هانشوف هانعزم مين، وهانعمل الفرح فين، والكلام دا كله.

- أيوه صح يا حبيبتي، ربنا يسهل، بس إياك ييجوا قبل يوم الجمعة.

_ قبل يوم الجمعة يا ماما؟! هو فيه حاجة مستنياها يا حبيبتي؟

- لأ يا قلبي، أنا بس عايزة أكون مستعدية للمقابلة دي كويس.

"ماضي" وصل إلى القاهرة، وذهب إلى المحل؛ لكي يطمئن على العمل بالمحلات، وبعد ذلك ذهب إلى البيت...

_ ماقُلتش يا أستاذ إنك هاتبات في اسكندرية امبارح يعني؟

* ما انتِ قلتِ إني مش هاقدر أرجع في نفس اليوم، وبعدين الراجل أصر إني أبات؛ علشان ما اتعبش في السكة وانا راجع.

_ برضه كنت اتصل وعرّفني؛ علشان أطمن عليك وصلت ولا لأ.

* طيب ما اتصلتيش انتِ ليه تتطمّني عليّا؟

_ أصلي راجعة من عند بابا، ودماغي مقلوبة شويتين كدا.

* مقلوبة؟ وإيه اللي قالب دماغك؟!

_ أصل رانيا أختي حكت لي حكاية كدا، بس تكسف حبتين، عن ناس كانت بتروح عند ناس كدا في انصاص الليالي.

* ناس مين دول اللي بتروح عند ناس في انصاص الليالي؟

_ لا هي ما قالتليش أسماء، بس كنت حاسة إنها مش عايزة تقول لي، بس حسّيت أنها كانت بتلمح لحاجة.

* بتلمح لإيه؟ وليه؟ واشمعنى انتِ اللي بتلمح لك؟! واشمعنى حسيتي إنها بتلمح لك انتِ؟ وفهمتي إيه من تلميحها دا؟!

_ ياه! كل دي أسئلة؟ ماعرفش زي ما يكون عايزة تحكي لي حاجة ليّا أنا بالذات بس مترددة.

* حكاية ايه؟! مش فاهم.

_ إيه؟! لحقت تنسى حكاية الناس اللي بتروح عند الناس في انصاص الليالي؟

* طيب وانتِ مالك؟

_ ماهو دا اللي أنا كنت عايزة أعرفه منها؛ لأن القعدة كلها كانت عن الحكاية دي، وطول الليل كانت بتسألني هو جوزك راح اسكندرية ليه؟ واشمعنى النهار دا بالذات؟

* غريبة الست دي!

_ الأغرب من كدا إنها كانت محسساني إنك زي ما يكون هربان من حاجة، أو قلقان من حاجة، أو رايح تقابل حد كدا ولا كدا.

* لا حد ولا سبت، هاقابل مين يعني؟! ما انتِ عارفة أنا كنت رايح ليه؟

_ ما أنا فهمتها إنك رُحت توصل صاحبك؛ لأنه تعبان ومقيم في اسكندرية، وممكن ماتقدرش ترجع النهار دا، علشان انت بتتعب لما بتسوق مسافة طويلة.

* ودي الحقيقة، أنا مابقيتش زي الأول، زمان كنت ممكن أروح اسكندرية مرتين في اليوم.

_ بصراحة! هي كانت عايزة تخلّيني أشك فيك، وفي مرواحك اسكندرية، ما اعرفش ليه؟! وقالت لي على الله يطلع إنه

علشان صاحبه، مش حد تاني.

* قلتِ لها إيه؟

_ قلت لها حد تاني مين؟ قالت لي هو ممكن يكون بيقول لك كدا، ورايح علشان يقابل واحدة من إياهم.

* كنتِ قولي لها لا من إيّاهم ولا من إيّاها.

_ طيب إيّاهم وفهمناها، لكن إيّاها دي مش فاهمة معناها إيه! أو تقصد إيه؟!

"ماضي" يحاول أن يغيّر الموضوع، ويسألها:

* الأولاد فين؟ عايز أتطمن عليهم.

"ميرفت" أحسّت أنه يتعمد تغيير الموضوع:

_ جوّا في أوضتهم، لسّه فاكر تسأل عليهم؟

* هادخل أسلم عليهم، وأقعد معاهم شوية.

"ميرفت" بداخلها استغراب شديد من ردود أفعال "ماضي" وكلامه، مقارنة بكلام أختها "رانيا"، وتقول بينها وبين نفسها:

_ زي ما يكونوا يعرفوا حاجة عن بعض، ولو يعرفوا حاجة والحاجة دي أكيد مش مظبوطة، يلّا، بكرة هايبان كل شيء.

الفصل الحادى عشر

(التشكيك)

"رانيا" تتصل بـ "حسيب المنياوي" هاتفيًا، وتقص له أنها لمّحت لأختها "ميرفت" من بعيد لبعيد، وأنها حاولت تشكيكها في زوجها، لكي تشغل تفكيره عنهم؛ لأن زوجها "صلاح الشوربجي" اقترب موعد وصوله".

"ماضي" في محل الملابس، يراجع بعض الفواتير الخاصة بالمحل، ومشغول في الحسابات، ليسمع صوت رنين الهاتف، ليقول بينه وبين نفسه:

"مين اللي ع الصبح دا بيرن عليّا؟ أنا لسا جاي من البيت؟ معقولة تكون شكرات؟!

أما أشوف، ربنا يجيب العواقب سليمة"

ويمسك بالهاتف، فيجد رقمًا يكاد يعرفه، فيقول:

"دا باين رقم نوسة، أمّا أتصل عليه وأتأكد...

* ألو، مين؟! أهلًا أهلًا، ازيك يا ست نوسة عاملة إيه؟

_ الحمد لله، انت أخبارك إيه؟ أنا عرفت من شكرات إنك قابلتها فى اسكندرية امبارح، وإنك هاتروح بكرة مع خالتي وولاد خالتي زيارة لشكرات.

* أيوه رايح بكرة، بس أنا لسّه ماكلمتش خالتك.

_ ليه؟ كلمها ضروري علشان تتفقوا، وتشوفوا هاتتقابلوا فين؟

* مش عارف الواحد محرج قوي، أنا عمري ما كلمتها خالص، رغم كل الأحداث اللي حصلت دي كلها.

_ هـاتتحرج مـن إيـه؟! خـلاص بقـى فيـه بيـنكم حنـين، ومصـلحتها دلـوقتي أهـم مـن اللـي فـات، فـلازم كلكـم تتفقـوا علشان تشوفوا هاتعملوا ايه في موضوع حنين دا.

* موضوع حنين دا هو اللي قالقني يا ست نوسة، وخايف من رد الفعل، ودا جـايز قـوي، وكمـان مـش عايزهـا تتصـدم فـي التوقيت دا بالذات، ولا في أي توقيت.

_ هـي لازم تعرف الغلط دا جـه ازاي، وكمـان أكبر غلط إنهـا تكون عايشة، وماتعرفش الحقيقة دي، نفترض عرفت بعد لا قدر الله حد منكم اتوفى انت ولا شكرات، بعد ما انت عرفت طبعًا الحقيقة، العمل هايبقى إيه؟

* كل اللي جاي فعلًا صعب قوي، خايف نكون بننبش في قبر مقفول، ربنا يسترها.

_ تحب أتصل لك بخالتي علشان تشوف إذا كان ممكن تقابلها النهار دا وتتفقوا؟

* لا، أحب الأول إنك تشرفيني شوية في المحل، نتكلم كدا في كذا موضوع، وبعدين ابقي اتصل لي بخالتك.

_ تمام كدا، وأهو بالمرة اشتري شوية لبس للبنات.

وعندما تصل إلى محل "ماضي":

_ هاا، احكي لي الموضوع إيّاه، وصل معاك لحد فين؟

* قصدك موضوع رانيا وحسيب جوزك؟

_ هو فيه موضوع غيره؟!

* هو ماقالّكيش أي حاجة خالص؟

_ قال، بس طبعًا مش مقتنعة بكل اللي قاله، وعارفة إنه مش بيقول الحقيقة.

* الحقيقة إن هما عملوا حوار عليّا مظبوط، بعد ما كانوا في إيدي والله.

_ ازاي؟! احكي لي اللي حصل.

* كنت عايز أمضّيهم على بياض؛ علشان يكونوا تحت ضرسي، بعد ما كانوا واقفين قدامي بيترعشوا وخايفين من الفضيحة، اتعملت تمثيلية عليّا، بس هي جات معاهم كدا.

_ تمثيلية إزاي؟

* ما انا بقول لك.. كنت عايز أمضّيهم على بياض، لقيتوا بيقول لي أنا معايا في العربية دفتر شيكات على بياض نمضي لك على شيك، ودا أقوى وأضمن، وعلشان أثبت لك إن خلاص ماليش دعوة بيها تاني من اللحظة دي، لكن المشكلة إني صدقته؛ لإني عارف خطورة التوقيع على شيك على بياض، وقلت لنفسي كمان طالما موبايله معايا مش معقولة هايسيبه ويمشي، ممكن الموبايل يعمل له مشكلة، ما اعرفش إنه بالمكر دا، أو يعلم ربنا ايه اللي حصل خلّاه لما نزل يتصل بـ رانيا، حتى رانيا ساعتها عملت نفسها بتكلم والدها، وفوجئت بعد كدا بإنها مش هاممها وقلبت عليّا وقالت لي حسيب مش راجع، وإنها هاتقول إن هو كان معزوم في عيد ميلادها مع شلة من النادي أصدقاء ليها، ونسي عندها الموبايل، المهم صوّتت لها صوتين كدا تهديد ليّا، أنا ما اعرفش هو حكى لك انتِ إيه!

_ هو فعلا سبّق، بس بعض ما ضّغطت عليه، وفعلًا اعترف إن هو مش هايروح أعياد ميلاد حد تاني، وإنه هايقطع علاقته بيها.

* همّا أكيد واخدين حذرهم الأيام دي، وكمان جوزها تقريبًا جاي بكرة؛ لإنه بيقعد في البحر شهر، وبياخد أجازة أسبوع، بس مصيره يعرف أي حاجة عنهم، بس ساعتها الدنيا هاتولع، ويمكن تتطلق فيها، ويبقى فيه كلام تاني انتِ هاتحسّيه، وهاتعرفي الدنيا هايكون فيها إيه، خلّينا أنا وانتِ كدا متابعينهم من بعيد لبعيد، وفيه مثل شعبي بيقول (الحجر الداير لابد عن لطّه).

_ مظبوط، خلي بالك علشان الأيام اللي جاية دي عواد ابن خالتي مش هايبقى في الصورة، علشان هو هايبقى مشغول بفرحه، علاوة على إن حسيب جوزي هايبقى حريص أكتر، وهاياخد باله، وهايبقى الموضوع كله عليك لوحدك.

_ دا في حالة لو ما اتطلقتش، لكن لو طلبت الطلاق من جوزها ساعتها ممكن الدنيا تتغير، ويبقى الركّ عليكِ انتِ.

_ بمعنى إيه؟ مش فاهمة.

* بمعنى إنه ممكن يتجوزها لما عدّتها تخلص، فأكيد انتِ هاتحسّي، يبقى ساعتها الركّ عليكِ انتِ، فلازم تاخدي بالك

من دلوقتي في أي تغيير هايحصل.

_ صح كلامك، ومظبوط قوي.

* اتفقنا، ها.. كنتِ بتقولي هاتشتري شوية لبس للبنات.

_ أنا شايفه شوية موديلات للبنات عندك تجنن، متعلقين في الفاترينات، بس نتفق لو عايزني أشتري من عندك، يعني تعاملني كأني زبونة عادية.

* أعاملك كزبونة عادية إزاي؟! وانتِ صاحبة المحل أساسًا.

* شُفت بقى؟ أهو ابتدينا.

* بس دي حقيقة، انتِ فعلًا صاحبة المحل، وكمان هو اللبس دا هايلبسوا حد غريب؟! دول ولادي برضه.

_ طبعًا طبعًا.

* يبقى خلاص، خدي الموديلات والمقاسات اللي تعجبك، وبعدين كمان بالمرة انتِ عارفة ولاد شكرات أذواقهم ومقاساتهم إيه؛ علشان تنقّي لهم كدا كام طقم، علشان هاتروحي لخالتك البيت تودّي الحاجة اللي هاتنقّيها، وتكلّميها

علشان نتفق هانتقابل امتى وفين؟

_ من عينيا يا ابو حنين، تسلم لي يارب.

* دعواتك يا ست الكل، مش هاقول لك تاني، المحل كله تحت أمرك.

"نوسة" تصل إلى بيت خالتها، وتجلس معها...

_ عاملة إيه يا خالتي؟ وازي صحتك؟ طمّنيني إيه الأخبار؟

- شكلك كدا عايزة تقولي لي حاجة، أنا فاهماكي يا بت.

_ هاقول لك يا خالتي، ماضي إن شاء الله جاي معاكم بكرة، ومواضيع زمان دي كلها لازم تتنسي، إحنا ولاد النهاردا، والأهم دلوقتي هو مصلحة حنين.

- طبعًا كل حاجة راحت لحالها، واللي راح راح، احنا ولاد النهارده، حديتك زين يا نوسة، وفيه بيننا حاجة مشتركة كمان يهمنا كلنا مصلحتها.

_ طبعًا يا خالتي، حنين بقت خلاص عروسة، ومحتاجة تعيش حياتها، حياة طبيعية مستقرة، بعيد عن الغلط والتعب

بتاع زمان اللي راح لحاله خلاص.

- ربنا يصلح لها حالها يا بنيتي، عايزين ايه غير ستر ربنا علينا كلنا!

_ ربنا هايسترها إن شاء الله يا خالتي، ها.. ماضي هايقابلكم امتى بكرة؟ وفين؟

- ما عارفاش يا نوسة، ممكن عواد ابني ما ياجيش معانا بكرة؛ علشان مشغول مع العروسة، زي ما انتِ عارفة فرحه خلاص بعد كام يوم.

_ طيب كويس يا خالتي، لو ماجاش عواد معاكم، أهو هايبقى معاكم راجل، ومش غريب.

* ما عارفاش يا نوسة! لازم أقول لعواد، وهو يتفق مع ماضي، ويشوفوا الدنيا فيها إيه، مش دي الأصول برضك!

_ تمام كدا يا خالتي، آدي رقم ماضي أهو.

- هو انتِ معاكِ رقم ماضي من زمان؟! طيب لما كان معاكِ ما إتدهوليش ليه؟ ما انتِ عارفة إن من ساعة ما عرفنا الحكاية واحنا عايزين نبلغه، واكمن رقمه مش معايا نسيت

وانشغلت، وبعد كدا قلت شكرات تبقى تعرّفه الحكاية لأنها تخصّهم.

_ من ساعة جوز خالتي عودة وخميس ابن خالتي -الله يرحمهم- ما اتوفوا وأنا متابعة كل أخبار ماضي؛ علشان كنت حاسّة إن فيه شيء ربنا شايله عنده في علم الغيب.

- ربنا كان عالم، كنا عايشين ازاي زمان، وأيام جوز خالتك ما كان عايش يا نوسة احنا شُفنا بهدلة وأيام سودا، الله لا يعودها.

_ اللي جاي أحلى يا خالتي إن شاء الله، ما تنسيش تكلمي عواد علشان يتفق مع ماضي، علشان ماضي يقدر يعمل حسابه من دلوقتي.

تتصل "توحيدة" بـ "عواد" -ابنها-، وهو في بيت عروسه، وتعطيه رقم "ماضي"؛ لكي يتفق معه على الذهاب إلى الأسكندرية لزيارة شكرات، وتدبير الأمر معه، فهي لم تعلم أن ماضي معه رقم عواد الذي أعطته له " نوسه " أثناء فترة ذهاب زوجها عند رانيا "

* الو.. أهلًا ، ازيك يا عواد؟

_ أنا بخير الحمد لله، ازيك انت يا أستاذنا؟

* بخير الحمد لله يا حبيبي.

_ الحاجة والدتي كلمتني إنك رايح معاهم اسكندرية بكرة، هي إن شاء الله هاتكون جاهزة هي واختي تهاني على الساعة ٨ الصبح بالكتير، وانا احتمال كبير ما اقدرش آجي؛ علشان باجهّز لفرحي إن شاء الله، وعقبال أولادك، عقبال حنين إن شاء الله.

* إن شاء الله، هايستنّوني فين بكرة؟

_ في الموقف العمومي بتاع الأتوبيس.

* ليه في موقف الأتوبيس؟! أنا معايا عربيتي وواسعة تكفينا كلنا.

_ الجماعة هايكونوا واخدين حاجات لزوم الزيارة وكدا.

* وما له، أنا عندي شنطة العربية كبيرة تشيل بلد.

_ خلاص على خيرة الله، تروحوا وترجعوا بألف سلامة.

"شكرات" مستيقظة منذ آذان الفجر، أصابها القلق؛

لأن أهلها في هذه المرة قادمون ومعهم "ماضي"، ولكنها خائفة من هذه الزيارة، التي ستكون فيها مواجهة، وأيضًا خائفة من أن يكتشف أحد أو يلاحظ أي شيء ليس في الحسبان، خصوصًا أن حماتها -أم المرحوم زوجها- تعيش معها في نفس البيت، وهناك احتمال أن تأتي إحدى من بناتها لزيارتها، فتندهش من وجود "ماضي"، لأن هيئة "ماضي" مختلفة؛ كونه يشبه الأجانب، وأن طريقة التعارف بينه وبين "حنين" متروكة للموقف نفسه.

الساعة الآن تقترب من السادسة صباحًا من يوم الجمعة، "ماضي" يركب سيارته، ويتوجه إلى محل الملابس الذي يملكه في وسط البلد؛ لكي يأخذ منه تشكيلة من الملابس لـ "حنين" وأخواتها، وامتلأت حقيبة سيارة "ماضي"، وذهب إلى موقف الأتوبيس؛ لينتظر "توحيدة" وابنتها، ليأخذهما في رحلة الحنين.

"توحيدة" وابنتها "تهاني" تلتقيان بـ "ماضي" في موقف الأتوبيس، وتركبان معه السيارة، بعد أن تصافحوا في السيارة.

كل من "ماضي" و "توحيدة" يحدث نفسه في أمر المواجهة مع "حنين"...

* أنا لو رايح امتحان الثانوية العامة، مش هايبقى أصعب من الموقف اللي أنا فيه دا

- يا ترى حنين لما تشوف ماضي أبوها لأول مرة هاتحسّ بإيه؟

* يا ترى لما عينيها تيجي في عينيا هاعرف أتمالك نفسي؟

- الله يكون في عونك يا شكرات يا بنتي، هاتعيشي لحظات انتِ كمان لا تحسدي عليها.

أخذ "ماضي" كل شيء من حقيبة السيارة عند وصولهم، ودخلوا إلى البيت ودقّوا جرس الباب، لتفتح "شكرات" خائفة، ودقات قلبها تتسارع معها، لتبدأ في خوف الحوار:

_ يا مرحب يا ماضي، نورتنا ونوّرت اسكندرية كلها.

"حنين" تطيل النظر، وتتأمل في وجه "ماضي"، وهي تقول بينها وبين نفسها:

أنا شُفته فين قبل كدا؟

وهنا الكل يترقب نظراتهما المتبادلة، وفجأة تقول بصوت مسموع:

~ هو خالوا ماضي كان مسافر فين؟

لترد أمها:

_ يا حبيبتي.. خالوا ماضي كان مسافر فرنسا، ولسّه راجع من أسبوع واحد بس.

كان الغرض من زيارة "ماضي" لـ "شكرات" هذه المرة هو جسّ النبض، لمعرفة كيف يقولون لـ "حنين" الحقيقة، بأن "ماضي" هو والدها الحقيقي، وأنه ليس خالها، ولكن - المرحوم- "حاتم" الذي ربّاها كان على علم به.

وبعد انقضاء أكثر من ست ساعات عند "شكرات"، ينظر "ماضي" إلى "توحيدة" و "شكرات"، حيث أن الوقت قد حان، ولا بد من الرحيل، فيصافح "حنين"، وهنا "حنين" و "ماضي" لا يريدان أن يترك أحدهما يد الآخر، كأن قلب كل منهما سوف يخرج من صدره لو ترك يد الآخر، إحساس

ربّاني، وهذا الإحساس يؤكد لـ "ماضي" أن "حنين" هي ابنته ومن لحمه ودمه.

"ماضي" يغادر بيت "شكرات" بمفرده، لأن "توحيدة" قالت له أنها سوف تبقى عند ابنتها ثلاثة أيام؛ لمعرفة نتيجة هذه الزيارة.

يلعب القدر دوره، أثناء خروج "ماضي" من باب شقة "شكرات"، يتقابل مع "مديحة" -أخت المرحوم "حاتم" الصغرى-، وهي قادمة لزيارة والدتها، وهذا نادرًا ما يحدث بأن تأتي، ولكن هذا هو القدر، فتتذكر أنها رأت هذا الرجل منذ فترة ليست ببعيدة في القاهرة، عندما كان زوجها يريد شراء هدية عيد الأم لأخته الكبرى، ودخل محلًا من محلات الملابس التي يمتلكها "ماضي"، وكان مكتوبًا عليه: "شركة الأزياء لكل الأذواق، لصاحبها ماضي عبد التواب وأولاده".

"مديحة" كانت تنظر إلى "ماضي" بتعجب شديد واندهاش، وهو ينزل درجات السلم، وكانت تحدث نفسها:

= إيه اللي جاب الراجل دا هنا وهو من القاهرة ويملك محلات ملابس في القاهرة؟! لا يمكن شكله يتنسي؛ لأنه يشبه

فنانًا معروفًا.

حنين تتفاجأ بها، ومن داخلها تشعر أن ما أتى بـ "مديحة" في هذا الوقت غير مطمئن، فوقعت عين "مديحة" على والدة "شكرات"، وكانت ابنتها "تهاني" جالسة بجوارها في نفس المكان،

"مديحة" توجه الكلام لـ "حنين"؛ لأنها لم ترَ جدتها من قبل:

= هي مين الست الكبيرة دي اللي موجودة عندكم يا حنين؟!

* دي جدتي أم ماما ياعمتو.

= آه، بس أنا فاكرة إن حاتم أخويا -الله يرحمه- ماقالّناش إن ليكِ جدة عايشة، أنا فاكرة كويس إنه حكى لنا إن مامتك مقطوعة من شجرة، وكان ليها أخ تقريبًا كان مسافر برّة.

* لا ياعمتو، جدتي عايشة ما ماتتش، بس كان فيه ظروف كدا بتمنع إنها تخرج.

= ماماتتش؟! وإيه الظروف دي؟ واشمعنا ظهرت لما أخويا حاتم مات؟! ومين الراجل اللي كان نازل من عندكم دا؟!

*** دا خالوا ماضي اللى كان مسافر برّة.**

= خالك ماضي؟! اسمه ماضي؟

*** أيوة ياعمتو.**

= أيوة.. أيوة.

وتحدث نفسها:

"دا واضح إن المواضيع الغامضة كتيرة قوي النهار دا"

*** بتقولي حاجة يا عمتو؟**

= بنقول واضح إن مامتك مشغولة مع الست دي اللي بتقولي عليها جدتك، ومش حاسة إني موجودة خالص.

*** حالًا هانّاديهالك ياعمتو.**

= لأ، مالهوش لزوم خلاص، خلّيها على راحتها مع ضيوفها، أنا هاندخل أوضة جدتك أتطمن عليها.

بعد أن أبلغت "حنين" والدتها أن عمتها موجودة عند جدتها، ذهبت "شكرات"؛ لكي تسلم عليها وترحب بها...

_ حمدًا لله على السلامة يا ست مديحة، عاش من شافك! بقى لك زمان ماجيتيش تزورينا أو حتى تتطمّني على الحاجة عليّة.

= أديني طبّيت عليكم أهو، قصدي أديني جيت أهو يا حبيبتي علشان أشوفها وأشوفكم.

_ يعني إيه طبّيتي؟! انتِ تيجي في أي وقت، دا بيت أخوكِ يا حبيبتي، يعني بيتكم كلكم.

= ماتقلقيش، من هنا وجاي هاتلاقينا كلنا، مش هانتحرك من هنا، قصدى مش هانسيب ماما أبدًا تاني أنا وكل اخواتي.

_ هو فيه أي حد يقدر يمنعكم؟!

= يمنعنا؟! مين دا اللي يقدر يمنعنا، لا عاش ولا كان، ليه! هو (البيت بيت أبونا والغرب يطردونا)؟!

_ إيه الكلام اللي بتقوليه دا ياست مديحة؟ مش فاهمة قصدك إيه؟ وإيه معنى الكلام دا؟! هو فيه حد داس لكم على طرف؟!

لترد الحاجة "عليّة" مستنكرة على ابنتها:

- مالك يا مديحة؟ فيه إيه يا بنتي؟! انتِ جاية مقلوبة كدا ليه؟ فهميني يا بنتي فيه إيه؟

فترد "شكرات":

_ ما تتعبيش نفسك انتِ يا حاجة، مافيش أي حاجة، احنا عينينا للست مديحة.

"مديحة" بعد أن عادت لمنزلها بعد زيارة والدتها الحاجة "علية"، وما دار بينها وبين "شكرات" جعلها تتصل بأختها الكبرى "زينات" هاتفيًا؛ لتقصّ عليها ما رأته هناك...

_ احنا كلنا عارفين إن المرحوم حاتم كان حاكي لينا إن شكرات دي مقطوعة من شجرة، بعد وفاة أمها وأخوها اللي مسافر برّة.

*** طبعًا يا مديحة، دا الكلام اللي قاله لينا زمان المرحوم حاتم**

- الله يرحمه -، إيه الجديد في كدا؟

_ أنا شُفت راجل النهار دا خارج من عند شكرات، وسألت مين دا؟ حنين قالت لي:

دا خالي ماضي اللي كان مسافر برّة ولسّه راجع من أسبوع،

رغم إن أنا يا زينات شُفته أنا وجوزي من كام شهر لما كنا بنشتروا هدية عيد الأم لأخته الكبيرة.

* بقى احنا ولاد الحاج سليم المنسي على سن ورمح، تيجي واحدة على آخر الزمن مش عارفين أصلها ولا فصلها وهاتلعب بينا؟!

_ لازم نعرفوا إيه الحكاية بتاعتهم دي اللي كلها غموض، مش هانسيبوا الحكاية دي تعدّي كدا وخلاص.

* أيوه، لازم نعرفوا في إيه؟ وإيه اللي بيدور حوالينا.

_ أنا ما رضيتش نفاتحها في أي شيء.

* أحسن يا مديحة، لما نتقابلوا كلنا نتكلموا مع بعض ونتناقش.

_ أنا حسيت يا زينات إن ماما مش عايزاني نقف قدام شكرات، خلّتني نقفل بُقّي.

* ما انتِ عارفة طبعًا مدى حب الحاجة ليها قد إيه؟

واتفقتا على أن تجلسا معًا؛ لتناقشا موضوع "شكرات"، وأخوها الذي ظهر بعد عدة سنوات سفر خارج مصر.. كما تدعي.

الفصل الثاني عشر

(الحادثة)

"أثناء عودة "ماضي" من عند "شكرات"، كان يقود سيارته وهو شارد الفكر؛ لأنه كان يفكّر في "حنين"، فحدث له حادث أليم، وانقلبت به سيارته، وأصيب بإصابات بالغة الخطورة، وتم نقلة إلى أقرب مشفى لمكان الحادث ".

أحد المسئولين بالمستشفى التي وصل إليها "ماضي" إثر الحادث الأليم، يجري عدة اتصالات بآخر أرقام مسجلة على الهاتف المحمول، الذي وجدوه معه في مكان الحادث، وتم إبلاغ أصحابها بأن صاحب هذا الهاتف قد وقع له حادث، وهو متواجد حاليًا في المشفى، وتم إبلاغهم باسم المشفى، وهو الآن يرقد داخل حجرة العمليات.

"شروق" -أخت "حنين"- تدخل عليها في حجرتها، فتجدها تمسك بالملابس التي أحضرها "ماضي" لـ "حنين"؛ لأنه كان قد كتب على كل حقيبة اسم صاحبها، وقد كتب على حقيبتها: "الابنة الغالية الدكتورة حنين"، فقد كانت شاردة، مرة تنظر إليها، ومرة تحتضنها، وهي في عالم آخر، كان شيئًا غريبًا وعجيبًا ما تراه "شروق"، لكن هذا الإحساس هو الذي جعل "حنين" فيما بعد تتقبل الحقيقة بشكل هاديء، بمعنى أنه سوف يخفف الصدمة إلى حد كبير على نفسيتها، فتقول لها:

_ ليه كل الهدايا اللي جابها خالي ماضي هي اللي مهتمية بيها للدرجة دي؟

وشاغلة عقلك كدا وسرحانة! انتِ إحساسك النهاردا غريب جدًا!

ومن وقت ما خالك ماضي مشي وحاسة بإن روحك وعقلك مش معانا!

* مش عارفة يا شروق، أنا حاسة كدا إن روحي مش فيّا، حاسة إن روحي خدها خالوا ماضي معاه لما مشي من عندنا، أنا فعلًا يا شروق عايزة نسمع صوته، حاسة إن بقالي سنين ما شوفتهوش، رغم إنه لسّه ماشي من عندنا ماكملش ساعة زمن، لكن وحشني جدًا جدًا، أنا هانجيب الرقم من ماما وهانكلمه.

_ ماما من بعد عمتوا مديحة ما مشيت وهي نفسيتها تعبانة حبتين، وتيتة عمّالة تهدّي فيها هي وخالتوا تهاني.

فجأة تدخل عليهما "شكرات"، وتقطع الكلام...

- مالكم يا بنات سايبيننا وقاعدين لوحدكم ليه في الأوضة؟

* انتِ بخير يا ماما؟!

- أنا بخير يا حبيبتي، مافيش أي حاجة، انتي عارفة بقى طبع

عمتك مديحة، أسلوبها ناشف شوية، أنا عارفة إن طبعها كدا من زمان، بس النهار دا هي كانت مزوّداها حبتين، مش عارفة ليه؟ وفيه إيه في دماغها! ودا اللي كان مضايقني حبة، بس الحمد لله أنا كويسة أهو، ومش عايزاكِ انتِ اللي تقلقي يا حبيبتي.

* أنا عايزة رقم خالوا ماضي يا ماما، مش عارفة وحشني قوي قوي كدا ليه؟! كأني بقالي سنين ماشوفتهوش، نفسي نكلمه، تصدقي يا ماما خالوا ماضي من لحظة ما مشى، وأنا حاسة إنه خد روحي معاه.

- إحساسك دا يا حنين هو اللي .....

* هو اللي إيه يا ماما؟ قولي يا حبيبتي.

تلتفت "شكرات" حولها، وتقول لـــ "شروق":

- روحي شوفي جدتك وخالتك تهاني، لا يكونوا عايزين حاجة.

لتذهب "شروق"، وعلامة الدهشة واضحة عليها؛ لأنها أحست أن أمها تريد التحدث مع "حنين" في أمر خاص...

*** ما له إحساسي ياماما؟!**

- هايسهل عليّا اللي نفسي أقوله لك من زمان، بس يا ريت يا حبيبتي تفهمي كلامي صح، وتقدري الظروف اللي عشتها وأنا حاملة همها، وكأني شايلة جبل فوق ضهري، بس لولا المرحوم كان شايل كتير معايا كنت انتهيت من زمان، لكن - الله يرحمه- هو اللي كان مصبّرني ومقوّيني.

*** قلقتينى يا ماما عليكِ، اتكلمي يا حبيبتي على طول، أنا بنتك حبيبتك، عايزة تقولي إيه؟**

- عايزة أقول لك يا حبيبتي إنك انتِ بنتي أنا وماضي، يعني ماضي دا يا حبيبتي مش خالك، ماضي دا هو باباكِ الحقيقي، وأنا والمرحوم خبّينا على الدنيا كلها، ولسّه ماضي ما يعرفش الحقيقة دي إلا من أيام بسيطة؛ لأني كنت مترددة إن أقول له إن له بنت، لكن الأيام الأخيرة دي أنا كنت باقابل خالتك نوسة كتير، وباتكلم معاها لأنها عايشة في القاهرة، وكانت على علم بقصتنا أنا وماضي من زمان، وكمان هي مش قريبتي وبس، دي صديقتي وتوأم روحي، المهم قررنا إني أقول له وبعدين هو يفكّر معايا بعد كدا ازاي نقول لك انتِ

الحقيقة دي، لكن صدقيني يا حبيبتي من يوم ما قلت لـماضي، وأنا مش بانام من كتر التفكير.

وفجأة.. تدخل "شروق" وفي يدها هاتف "شكرات"؛ لتخبرها بأن هناك رقمًا غريبًا يتصل عليها....

- إيه؟! امتى وفين؟! مااااضي؟! وهو فين دلوقتي؟

* فيه إيه يا ماما؟

- أبوكِ عمل حادثة وانقلبت بيه العربية يا حنين.

"شكرات" تصل إلى المشفى، ومعها ابنتها "حنين"، في نفس التوقيت الذي يصل فيه الدكتور "عمر" وأسرته، وينزلون جميعًا من سياراتهم في وقت واحد أمام بوابة المشفى، وتنظر "حنين" إلى الدكتور "عمر" باندهاش وتعجب شديد...

_ خير يا دكتور عمر! انت جاي هنا المستشفى ليه؟

* وانتِ كمان يا ترى جاية هنا المستشفى ليه يا دكتورة حنين؟

_ أنا جاية علشان... أصل...

أصل بابا...! أصل خالوا ماضي عمل حادثة.

"ميرفت" -زوجة "ماضي"- وأهلها يدخلون المشفى، ويسألون الممرضة عن مكان "ماضي"، فتخبرهم بأنه خرج حالًا من غرفة العمليات وانتقل إلى غرفة العناية المركزة؛ لأنه في حالة حرجة للغاية، وغير مسموح له بأي زيارة نهائيًا.

في المشفى، يتواجد بالقرب من العناية المركزة استراحة يجتمع فيها الزائرون، ومن خلال هذا المكان يستطيعون الاطمئنان على "ماضي" من خلال الأطباء والممرضين.

في هذه الاستراحة كان يجلس كل من "شكرات" و "حنين"، وأسرة الدكتور "عمر" -والده ووالدته وأخته "لبنى"-؛ لأنهم هم الذين وصلوا أولًا، حيث أن هذه المشفى يوجد في محافظة الأسكندرية، ولأن "ميرفت" وأهلها من محافظة القاهرة، فلذلك بعد المسافة أخذ منهم وقت كبير حتى وصلوا إلى مكان هذا المشفى.

"ميرفت" فوجئت بهم جميعًا في الاستراحة، ولكنها لاحظت

على "شكرات" القلق الشديد والتوتر، وبدأت تنظر إلى "شكرات" نظرات كلها تعجب، ونار الغيرة بداخلها تكاد تحرق قلبها، دونًا عن باقي الموجودين، ودون معرفة أسباب حقيقية لهذه الغيرة، وأيضًا دون أن تعرف من هي هذه المرأة التي تبكي، شعور غريب.

وكان هناك بداخلها تساؤلات كثيرة؛ من هم هؤلاء الأشخاص الذين يتساءلون، ويسألون الأطباء والممرضين عن "ماضي"؟ ومن هي تلك الفتاة التي تبكي على كتف والدتها ويظهر على ملامحها الانهيار؟ وما هي صلتها بـ "ماضي"؟!

"ميرفت" لا تعرف أحدًا من أسرة "فؤاد"، فهي لم ترَ "فؤاد" صديق "ماضي" من قبل، ولكنها كانت تسمع عنه منذ أن تزوجت "ماضي"، إنه هو صديق العمر الوحيد الذي يثق به، ويأتمنه على أسراره.

كان الوقت يمر على الجميع كأنه سنوات، وليس أيامًا، والنظرات المتبادلة بينهم كانت مثل السهام، مصوبة ناحية القلب مباشرة.

الـدكتور "عمـر" ذهـب ليسـأل عـن زمـلاءه مـن الأطبـاء الموجـودين الآن بالمشـفى؛ مـن أجـل الاطمئنـان علـى حالـة "ماضـي"، حيـث أن معظـم الأطبـاء هنـا فـي هـذا المشـفى زمـلاءه، ومـنهم أسـاتذته، وبعـد عـدة خطـوات تنـادي عليـه "حنـين"، فعلمـت منـه إنـه ذاهـب ليسـأل ويطمـئن علـى حالـة "ماضي" من الأطباء، فذهبا سويًا تجاه استراحة الأطباء.

مر على تواجدهم في المشفى أكثر من ساعتين، فيدخل فرد الأمن ليأمرهم بالانصراف.

ينصرف الجميع، وفي داخل كل واحد منهم تساؤلات كثيرة ومحيّرة، لكن "حنين" هي التي بداخلها سيل من التساؤلات، كأنها تجلس أمام محقق، بل هي المحقق نفسه، فهي بينها وبين نفسها، بعد أن خرجت من المشفى ومعها والدتها، وهما في طريقهما إلى المنزل تسائل حنين نفسها:

_ ليه الحقيقة ظهرت الوقت دا؟!

ولما مات أبويا المرحوم حاتم اللي رباني الفترة دي كلها؟

أكيد فيه أسباب كتير هاندفع تمنها من سمعتي،

ويا ترى أبويا الحقيقي كان عارف إنه عنده بنت؟

وليه كان ساكت كل دا؟!

بس انا اسمي في شهادة الميلاد "حنين حاتم"!

يعني هو كان بيعمل كدا عشان خاطر يحافظ على سمعة أمي؟

وموقف الدكتور عمر مني بعد ما يعرف اللي أنا فيه هايكون إيه؟

يعني والدي اللي أنا من صلبة؟ ولا اللي رباني؟
يعني أبويا اللي عايش ولا اللي ميت؟
أنا هانتجنن .. هانتجنن.
بعد أن خرج الدكتور "عمر" من المشفى بعد الاطمئنان على حالة "ماضي"، -هو وأسرته- يتحدث مع والده ووالدته بشأن "حنين"، ويسألهما عن رأيهما في هذه العروس، ولكن الظرف لم يكن مناسبًا لكي يعرّفهم بها بشكل أوضح، فيقولان له:

_ إن شاء الله، لما يقوم عمك ماضي بالسلامة، ويخرج من المستشفى، احنا لينا كلام إن شاء الله.

هذا الكلام قاله "فؤاد"، بعد أن تأكد من وجود كل الشخصيات محور الحكاية في آن واحد في المشفى، وأن "حنين" هذه هي بطلة القصة التي حكاها له صديقه "ماضي"، وأنه كان هنا في الأسكندرية لكي يراها.. وحين رآها مع "شكرات" تأكد أكثر؛ لأنه يعرف "شكرات" جيدًا منذ أن كانوا في الجامعة، وأنها كانت لا تفارق "ماضي" لحظة.

في الليلة التي وقع فيها الحادث الأليم لـ "ماضي"، الحاجة "عليّة" تحلم حلمًا؛ ترى فيه المرحوم "حاتم"، وكأنه أتى من خارج البيت، ودخل إلى حجرته دونما سلام أو كلام، فدخلت عليه حجرته وهي ترى في ملامحه هموم الدنيا كلها، وهذا على عكس ما كان عليه وهو على قيد الحياة، لم يكن يحمل همًّا قط، ولم يشعر أحدًا بأنه مهموم، ودائمًا ما كان وجهه بشوشًا، ويأخذ كل شيء مهما إن كان بكل بساطة.

كانت الحاجة "عليّة" تحاول بكل إصرار أن تعرف ماذا به، دون جدوى...

_ ما لك يا حاتم متضايق ليه؟ عمري ماشوفتك كدا شايل هم الدنيا كله على راسك!

فلم يرد عليها، ولكنه استلقى على ظهره وكأنه يحتضر، ونظرات عينيه وكأنه يبحث عن شيء، تعبيرات وجهه كأنها تريد الاعتراف بشيء ما، لكنه لا يقوى على الكلام، وكأن لسانه قد عقد.

الحاجة "عليّة" تصرخ وتبكي بكاءً شديدًا على حال ابنها، وهي لا تستطيع أن تفعل له أي شيء قائلة:

_ رد عليّا يا حاتم، احكي لي يا ابني، فضفض معايا، طلع كل اللي جوّاك فضفض يا ابني، أنا سامعاك.

وكأنه يحتضر، ولسانه يخرج من فمه..

فجأة تنهض الحاجة "عليّة من النوم مفزوعة. بالفعل "حاتم" كان يشعر بنتيجة إخفاء الحقيقة عن أهله، "حقيقة أن "حنين" ليست ابنته ومن صلبه"

بعد عودة "صلاح الشوربجي" من رحلة العمل على المركب، وعلى مدار يومين.. كان يشعر بجفاف المشاعر من ناحية "رانيا"، علاوة على التغيير الملحوظ في طريقة معاملتها له؛ وهذا ما جعله يشعر أن هناك شيئًا ما قد حدث و "رانيا"

تخفيه، بعد أن نطقت اسمه خطئًا وقالت: "يا حسيب"، ليس هذا فحسب! بل قالت له أنها تريد الطلاق، وأنها لم تعد تحتمل هذه المعيشة، وأنها سئمت الحياة معه، وخصوصًا أنه يغيب عنها لفترة طويلة، هذه حجة ليس لها أساس من الصحة؛ لأنها حجة غير منطقية وغير مقنعة بالمرة، فهو كلام تقوله والسلام، ربما تنال حريتها.

زوج "رانيا" ليلًا، لاحظ أنها تدعي أنها مستغرقة في النوم وهي نائمة بجواره على السرير، فقد كانت تريد أن تتأكد أن زوجها استغرق في النوم، ثم تنهض وتسير على أطراف أصابع قدميها وتذهب إلى حجرة أخرى، وتغلق باب الحجرة عليها؛ لكي تستطيع التحدث مع "حسيب المنياوي" بحرية، بعيدًا عن زوجها، حتى لا يستطيع أن يستمع إليها وهي تتحدث معه.

"رانيا" تتحدث هاتفيًا مع "حسيب المنياوي":

_ باقول لك إيه! أنا جوزي رايح بكرة يشوف ولاده عند خالتهم، وهايقعد معاهم طول اليوم، علشان هو لسّه راجع من الشغل، اعمل حسابك تكون جاهز وعلى رنة، أول ما

ينزل صلاح هاتصل بيك تاخد عربيتك وطيران على عندي فورًا.

يقف زوجها أمام الغرفة؛ ليستمع إلى مكالمتها، وعند انتهاءها من المكالمة يعود مسرعًا إلى مكانه؛ حتى لا تعلم أنه قد سمعها، يدّعي النوم، ويفكر... كيف يستطيع الإمساك بها دون أن يترك خلفه أي دليل؟

"صلاح الشوربجي" يتظاهر بالمودة والشوق لـ "رانيا"، والتدليل المصطنع، لم يبقَ غير أنه يضعها في عينه حتى تطمئن له.

بعد أن تناول الإفطار وشرب الشاي، غادر من الشقة؛ ليذهب لزيارة أولاده، وقبل وصوله

لباب العمارة، يتصل بـ "رانيا":

_ باقول لك إيه يا حبيبتي؟

سامحيني لو اتأخرت عليكِ شوية النهار دا معلهش.

* مافيش أي مشكلة، دا حقهم، ولازم يشبعوا منك يا حبيبي.

"وفعلًا انتهت المكالمة، وكأنهما عاشقان يتبادلان كلمات الغزل".

"صلاح الشوربجى" يدخل العمارة ويصعد على السلم، ويصل إلى شقته،

كانت "رانيا" قد اتصلت بـ "حسيب المنياوي"؛ ليحضر، ويصعد إلى شقتها،

"صلاح الشوربجي" يفتح باب الشقة ويدخل، "رانيا" ظنت إن الذي دخل هو "حسيب المنياوي"؛ لأن معه نسخة من مفاتيح الشقة، ففوجئت وهي تتزين في حجرة نومها أن الذي يدخل عليها الحجرة هو زوجها "صلاح الشوربجي"، وليس "حسيب المنياوي"، فادعى أنه نسي أن يأخذ معه نقودًا أكثر، وفتح دولاب الملابس، يتظاهر بأنه يبحث عن النقود...

_ أنا هاروح أدوّر في أوضة المكتب، يمكن أكون نسيتهم في درج المكتب هناك، دوّري انتِ هنا في الأوضة كويس.

وذهب هو إلى حجرة مكتبه، وهي في حجرة النوم تبحث، وهي لا تدرى ماذا تفعل، تفكيرها قد شل، كانت خائفة

وترتجف، ويكاد قلبها أن يقفز صدرها من شدة الخوف؛ لأن "حسيب المنياوي" محتمل أن يدخل الشقة في أي وقت، قبل أن ينصرف زوجها.

"صلاح الشوربجي" يرتدي القفاز بسرعة، ويذهب إلى المطبخ دون أن تراه "رانيا"، وأحضر سكينًا من المطبخ، ثم دخل عليها حجرة النوم، وطعنها عدة طعنات قاتلة من الخلف...

_ أنا قصرت معاكِ في إيه علشان تخونيني؟!

أنا طول عمري عايش معاكِ، وبابذل أقصى ما في وسعي علشان أسعدك.

ثم انتبه بسرعة، وغادر الشقة؛ لربما يصل "حسيب المنياوي" وهو ما زال متواجدًا في الشقة، وقتها تنكشف الخطة كلها.

كلاهما كان خائفًا من حضور "حسيب المنياوي"، ولكن كل منهما كان خائفًا بطريقته.

"صلاح الشوربجي" خرج وترك باب الشقة خلفه مواربًا،

وكأنه مغلق، وصعد السلم الذي أمام باب شقته إلى الدور الأعلى، ووقف في مكان يستطيع أن يرى فيه باب شقته إذا فُتح؛ لكي ينزل مرة أخرى ويغلق باب الشقة، وبالفعل كما خطط...

دخل "حسيب المنياوي" الشقة، ونزل "صلاح الشوربجي" وأغلق باب الشقة، وترك المفتاح في الباب من الخارج، بعدما أغلق الكالون، وذهب إلى قسم الشرطة؛ لكي يبلغ عن وجود رجل دخل شقته وزوجته متواجدة بداخلها بمفردها، وأنه أغلق عليه باب الشقة بالمفتاح من الخارج؛ لأنه قد سمعها في منتصف الليل تتحدث مع رجل غريب، وتأكد بوجود علاقة آثمة بينهما، وعلى الفور قامت قوة من قسم الشرطة معه، ووصلت الشقة في نفس اللحظة التي كان "حسيب المنياوي" سيتمكن من فتح باب الشقة، ويتفاجأ "حسيب المنياوي" بالشرطة أمامه تدخل الشقة، ثم تكتشف جريمة القتل، وتم القبض عليه وهو يصرخ:

- أنا بريء.. أنا ماقتلتهاش.. أنا بريء، حكمتك يارب، هي دي آخرة اللي يمشي ورا الحريم اللي مابتشبعش.

أخـوات "حـاتم" مجتمعـات عنـد "مديحـة" تتشـاورن فـي موضوع "شكرات"، وأهلها التي اكتشفتهم "مديحة" فجأة!! ترى من هم؟!

وأثناء اجتماعهن، قامت "مديحة" بالاتصال بزوجها...

_ أنا عايزاك يا عماد تعمل المستحيل علشان تعرف حكاية الست دي اللي بيقولوا عليها إنها أم شكرات، وتجيب معلومات عن شخصية اللي اسمه ماضي بتاع محلات الملابس اللي في القاهرة.

* بتاع محلات الملابس؟! مين دا؟

_ اللي اشرينا من عنده هدية عيد الأم لأختك "رجاء".

* أيوه أيوه، إن شاء الله في ظرف كام يوم كدا وهانكون جبت كل المعلومات عنهم.

في التوقيت الذي تجلس فيه "مديحة" مع أخواتها، يأتي خبر مؤسف، -عن طريق ابنة "زينات"-، بأن ابنها "علاء" قد قامت عصابات المافيا في إيطاليا بتصفيته، بعد أن علموا أنه سيقوم بتسوية حساباته في إيطاليا، وأنه سوف يغادر إيطاليا

عائدًا إلى وطنه الأصلي مصر؛ لأنه يعلم الكثير من الأسرار عنهم، هو نفسه في بدايات العمل معهم قام باغتيال عدة شخصيات كبيرة ومشهورة على المستوى العالمي، فهو كان يفكر بالفعل في تكوين أسرة، كان ينوي أن يتقدم بنفسه لـ "حنين"، بعد أن فشلت محاولة والدته في أن تخطبها له، ثم ينقلب الحال إلى حال آخر، فهو بكل المقاييس كارثه للأسرة بالكامل، وينشغل الجميع بهذا الخبر المأساوي الصادم للعائلة بالكامل.

"فؤاد" يتصل بابنه الدكتور "عمر"...

_ أنا عايزك تقابلني يا عمر برّة البيت، في مكان قريب كدا على الكورنيش، هاقول لك عليه بس بعد ما تخلص محاضراتك في الكلية.

* خير يا بابا؟! أول مرة تطلب مني نقعد معاك هنا في المكان دا، رغم إني عارف ان حضرتك لما بيكون عندك مشكلة أو حتى متضايق باعرف من ماما إنك بتحب تروح في مكان ما تقعد فيه لوحدك، واضح إن المكان دا حضرتك بترتاح فيه قوي وبتتفائل بيه.

_ بص يا عمر يا ابني، أنا هاحكي لك حكاية، وأنت صاحب القرار، والقرار فيها قرارك، وهو اللي هايكون فاصل في الموضوع دا بالذات.

* أنا أقدر آخد أي قرار وحضرتك موجود؟!

_ لأ يا ابني، إلا في الموضوع دا بالذات، لازم تعرف تفاصيله من الألف إلى الياء، انت من حقك تعرف كل حاجة، وأنا مش هاعارضك أبدًا في قرارك مهما إن كان.

* اتفضل يا بابا، أنا سامع حضرتك.

_ بص يا عمر يا ابني، أونكل ماضي كان بيحب والدة حنين زمان من أيام ما كنا طلبة في الجامعة، أنت عارف إني خريج جامعة عين شمس؛ لأني يا ابني في التوقيت دا أنا كنت عايش في القاهرة أكتر ما كنت عايش هنا في اسكندرية، وشكرات والدة حنين كانت بتحب ماضي بجنون، وماكانتش تقريبًا بتفارقه لحظة واحدة، لدرجة يا ابني في يوم .....

(وحكى "فؤاد" كل التفاصيل للدكتور "عمر"، التي من الممكن أن تكون "حنين" نفسها لا تعرفها).

_ أنا قلت لك يا ابني على كل شيء، والقرار دلوقتي هو قرارك.

الدكتور "عمر" يشرد عقله في هذه القصة الغريبة، يخشى أن يقول شيئًا يكون متحاملًا فيه على أحد، ولكن بينه وبين نفسه يعلم أن كل شئ قدر، وأيضًا حبه لـ "حنين" أقوى من أي ظروف، أقوى من الحياة نفسها، وهي لم تذنب في شئ، ولا أحد في الدنيا بيده اختيار والديه...

* بابا.. أنا حبي لحنين لشخصها هي، لأخلاقها ولطموحها، حنين إنسانة ناجحة ومتفوقة جدًا، وكوني إني أتناسى الحب دا -حتى لو فيه ظروف خارجة عن إرادتها طرأت هاتخلّيني نغيّر موقفي أو شعوري من ناحيتها، يبقى دا فيه شيء من الظلم، هي نفسها واقع الحكاية عليها شيء صعب وممكن يطيّر عقلها، وكمان أونكل ماضي راجل محترم وباين عليه شخصية اجتماعية مرموقة وتشرف أي إنسان، وكمان طنط شكرات باين عليها إنها أم فاضلة، وقدرت توصل بحنين لمكانة مش بسيطة.

_ ماضي صديق عمري، وكل خطوة خطاها زمان كانت على

يدي، أنا يا ابني مش شايف حاجة وحشة في قصتهم، ولكن القدر هو اللي بعدهم عن بعض، ولولا ذلك كان زمانهم متجوزين.

* أكيد يا بابا والدتها حكت لها، حتى ولو عناوين؛ بدليل إنها جات مع مامتها تزور أونكل ماضي في المستشفى، أنا بنحب حنين مهما كانت الظروف ضدها أو معاها، أنا هانقف جنبها وهانسندها.

_ أنا سعيد يا ابني إن دا شعورك وإحساسك من ناحيتها، وكمان دا إن دل يدل إن حبك لها حب حقيقي، أنا كنت زيّك كدا وأنا شاب، حبيّت حب حقيقي وماتخليتش عنه أبدًا مهما كانت ظروفي، بدليل إن أنا اتجوزت مامتك واحنا لسّه في الدراسة وفي الكلية سوى، فالحب الحقيقي يا ابني مش بييجي غير مرة واحدة،

ربنا يقوّم عمك ماضي بالسلامة، وهايكون لنا ترتيبات تانية إن شاء الله، وربنا يكون في عون ماضي وموقفه مع مراته، الموضوع هايكون وقعه عليها ايه، وهي يا ترى هاتتقبل الحكاية، ما هي أكيد هاتعرف هاتعرف، دا حتى هي لما كانت

في المستشفى كان باين عليها القلق ومتوترة التوتر المخلوط بالغيرة؛ بسبب وجود شكرات وحنين بنتها لما كانوا هناك عنده في المستشفى، وخصوصًا إنهم كانوا لوحدهم، وأنا ووالدتك لاحظنا عليها إنها

كانت بتبص لهم باستغراب شديد رغم إنها ماتعرفهمش، ودا كان مجرد إحساس، شُفت كانت عاملة إزاي؟ طيب هاتقول ايه لما تعرف إن له بنت كبيرة كدا؟! ربنا معاه ويهدي مراته وتتفهم القصة وإنها حصلت قبل ما يعرفها ويرتبط بيها، والأهم من دا كله إنه يقوم بألف سلامة.

"منال" والدة الدكتور "عمر" تتصل بـ "فؤاد":

- عمر تليفونه مقفول يا فؤاد، وماجاش على الغدا النهار دا، وأنا قلقانة عليه قوي.

* معلهش، الدكتور عمر موجود معايا، واحنا خلاص جايين في الطريق إن شاء الله، بس هو الظاهر كدا تليفونه خلص شحن منه، اطمّني هو بخير يا ست الكل.

- الحمد لله، طمّنتني، طيب يلّا خلاص الغدا جاهز.

زوج "مديحة" يحاول أن يحصل على معلومات عن حياة "ماضي"، و "شكرات" وعائلتها، عن طريق "عصام" - الشهير بالبرنس-، والتي دلّته عليه "نشوى"، التي تعمل في محلات الملابس التي يمتلكها "ماضي".

"عماد" يكتشف خلال الفترة التي كان يتردد فيها على محلات الملابس التي يملكها "ماضي"؛ بحجة أنه يذهب هناك من أجل شراء ملابس للأسرة، فمن خلال الحوار الذي دار بينه وبين "نشوى" علم من أسلوبها أنها فتاة طماعة، تحب المال مثل عينيها، فاستطاع "عماد" أن يكوّن معها صداقة وهمية؛ لكي يعرف منها أية معلومات عن حياة "ماضي"، فهي تعمل في المحلات التي يملكها منذ زمن طويل..

_ أنا قرّبت فترة من عصام البرنس، وعارفة إنه عارف كل حاجة عن ماضي، هو اللي هايقول لك على كل حاجة تخص حياة ماضي بالتفصيل،

عصام البرنس دا كان اتقدّم زمان، علشان يخطب أمل أخت ماضي، لكن ماضي رفضه، علشان كان واحد من اللي

بيسموهم عاطلين بالوراثة، اللي وارثها أبًا عن جد، اللي كان باشا من الباشوات اللي عندهم عِزب وعمارات وفلوس في البنوك، ولأن عصام كان مستهتر وبتاع سهر في الكباريهات، وضيّع كل أملاكه اللي ورثها عن أبوه وجده.

عائلة "خليل الغرباوي" الأجواء فيها متوترة، والجو العام يخيّم عليه الحزن والخزي والعار، فمقتل "رانيا" يعد جريمة غير عادية، يشوبها الغموض والتساؤلات المحيّرة، كما أنها كسرت ظهر الأسرة بالكامل؛ لما أصابها من العار والفضيحة المدوّية، فهي جريمة مقترنه بالفضيحة.

"خليل الغرباوي" في غاية الذهول لما أصابه من العار والخزي بين الأهل والجيران،

وكل شخص يعرفه في البلد علم بمقتل ابنته.

فبعد مقتل ابنته الكبرى، المتحررة أكثر من اللازم، جلس ليوبخ نفسه متسائلًا:

_ يا ترى أنا غلطان عشان ادّيتها الحرية دي من يوم ما اتولدت؟

أنا غلطان إني ادّيتها مساحة أكبر من الحب والعطف عشان اعوضها عن حنان أمها؟

يعني هي دي النتيجة الطبيعية للدلع المفرط دا؟!

هي فعلًا كانت بتدخل وتخرج وقت ما تحب من غير ما أعارضها في حاجة، وصحابها اللي كانت بتخرج دايمًا معاهم في النادي، أنا السبب في إنها ماعرفتش تحافظ على شرفها وعلى بيتها وجوزها المحترم اللي كان بيعمل كل حاجة عشان يسعدها، كان المفروض أحاسبها وأعارضها وأفهمها إنها بنت، والناس دايمًا بتطمع في البنت الساهلة اللي عايشة على هواها واللي ماعليهاش رقابة، أنا المجرم

"سعاد" وابنتها "ميرفت" تتبادلان النظرات....

_ خدي بالك انتِ يا حبيبتي من نفسك ومن ولادك، اللي راح راح، ربنا معاكِ انتِ كمان علشان جوزك ماضي، هو كمان ما بين الحياة والموت.

* يا ماما أنا قلقانة قوي الأيام دي.

_ من إيه يا حبيبتي؟

* من حاجات كتيرة يا ماما، مش عارفة، حاسة إن فيه حاجات هاتحصل الأيام اللي جاية دي، أو ممكن تكون فيه مفاجآت.

_ ليه يا ميرفت حاسة بإيه؟

* عندي شعور غريب ومتملكني قوي، من ساعة ما جيت من عند ماضي في المستشفى!

_ إزاي يا ميرفت؟ احكي لي يا حبيبتي على اللي انتِ حاسّاه، طمّنيني، أنا مش فاهمة أي حاجة، قلقتيني عليكِ، واحدة واحدة اتكلمي.

* مش عارفة ياماما، من ساعة ما رجعت من المستشفى وأنا مش طبيعية؛ لإني شُفت ناس كدا كانوا بيزورا ماضي، وكانت هناك واحدة ست هي وبنتها، شُفتهم وهما هايموّتوا نفسهم على ماضي من شدة الزعل عليه.

_ وماقدرتيش تعرفي هما مين يابنتي؟! وعلاقتهم بـ ماضي إيه؟

* لأ ياماما، علشان كدا أنا هاتجنن.

_ طيب يا حبيبتي، خلّي بالك الأيام الجاية، وعلى طول تكوني عند ماضي في المستشفى، وأي حد تلاقيه هناك غريب اسأليه هو مين، حتى لو كانت الست اللي بتقولي عليها دي هي وبنتها، اسأليهم انتوا مين.

*** حاضر ياماما.**

الفصل الثالث عشر

(زيارة مفاجئة)

"الدكتور "عمر" يقوم بزيارة مفاجئة لـ "حنين" في بيتها، بعد أن علم من والدتها أنها مجهدة؛ لأنها لم تنل قسطًا من الراحة، فالتفكير كاد أن يدمر رأسها طوال الليل، كثرة التفكير في موضوعها المستجد " .

"شكرات" تدخل على "حنين" حجرة النوم الخاصة بها؛ لكي توقظها لتناول الإفطار، فهي قد تأخرت في النوم، فمنذ أن جاءت من المشفى عقب زيارة "ماضي"، وهي تقضي معظم الوقت نائمة، ربما يكون هروبًا من التفكير، فتجلس بجوارها على السرير...

_ يا حبيبتي قومي بقا علشان تفطري، يلا قومي يا حنون.

* معلهش يا ماما، سيبيني أقوم براحتي.

_ مالك يا حبيبتي؟ انتِ تعبانة ولا ايه؟ قومي يلا علشان أنا عايزة أتكلم معاكِ شوية يا قلبي.

* حاضر يا ماما.

في نفس التوقيت يصدر هاتف "حنين" رنينًا...

* ردي يا ماما على التليفون، وأي حد يسأل عليّا قولي له إني نايمة.

_ دا مكتوب الدكتور عمر.

* معلهش يا ماما، ردي انتِ عليه وقولي له إني لسّه نايمة؛

علشان كنت تعبانة شوية.

فتلبي "شكرات" طلبها...

_ أيوه يا دكتور عمر، أنا مامت حنين، معلهش يا دكتور، حنين لسّه نايمة؛ علشان ما نامتش طول الليل.

- مالها الدكتورة حنين؟! سلامتها ألف سلامة.

_ هي كانت تعبانة بالليل شوية، أصحّيها تكلم حضرتك؟

- لأ، خلّيها مرتاحة يا ماما، أنا هانتصل بيها تاني إن شاء الله؛ علشان نتطمّن عليها.

– حاضر يا دكتور.

كانت تودّ أن تخبره بأنها تريد التحدث معه على انفراد،ولكنها ترددت.

"حنين" في غرفتها تسمع المكالمة، وانتهت المكالمة على هذا الحال، وعلى أمل أن الدكتور "عمر" سيتصل مرة أخرى بعد ساعة على الأقل، فتقول لـ "حنين":

_ كنت عايزة يا حبيبتي أتكلم مع الدكتور عمر لوحدينا، إيه

رأيك يا حنون؟

* استني شوية يا ماما، يومين كدا ونقول لك، وبعدين يا ماما قولي لي كدا وأنا بنحضّر الفطار، حضرتك يا ماما كنتِ عايزة تتكلمي معايا، أنا كلي آذان صاغية.

_ ربنا ما يحرمنيش منك يا أحن حنون في الدنيا كلها، دقيقة هادخل أوضتي وأجي لك.

تجلب "شكرات" الأوراق الخاصة، والتي تحفظها في مكان سري للغاية...

_ اقري يا حبيبتي الأوراق دي، وركزي قوي يا قلبي في التواريخ.

"حنين" تمسك بالأوراق وتقرأها، وفجأة ترتعش يدها، كأنها في أوج الزمهرير، وتقلّب بينها...

* ايه الأوراق دي يا ماما؟!

_ دي يا حبيبتي صور وأوصول من أهم أوراق عندي، دي يا قلبي شهادة ميلادك الأصلية

اللـي طلعت مـن الوحـدة الصـحية هنـا فـي اسـكندرية، وفيهـا تـاريخ مـيلادك واضـح، ودي قسـيمة الجـواز بتـاعتي أنـا والمرحـوم حـاتم، بصـي كـدا، اقـري، بعـد تـاريخ مـيلادك يـا حبيبتي بسنتين وحوالي عشرين يوم.

* دا معناه إيه يا ماما؟!

_ دا يـا حبيبتـي معنـاه إن المرحـوم حـاتم كـان عـارف، وكـل شيء كان بعلمه من ساعة ما شافني هنا في اسكندرية من خمسة وعشرين سنه تقريبًا.

* مش فاهمة يا ماما برضه، يعني إيه من ساعة ما شافك هنا في اسكندرية؟

_ أنا هاحكي لك ياحبيبتي الحكايـة كلهـا، من ساعة مـا بدأت من زمان، احنا أصلنا صعايدة، أبويا نزل من الصعيد للقاهرة؛ علشـان كانـت لـه ظـروف فـي بلـده، انـتِ عارفـة وزي مـا بتسمعي عن حكايات التار دي اللي في الصعيد..

وحكت لـ "حنين" كل شيء، منذ أن أتت إلى عروس البحر المتوسط، إلى أن رأت "حاتم"، وتقص عليها كيف كان كريمًا طيبًا مخلصًا لها، ولم يقصر معها في أي شيء.

"عماد" -زوج "مديحة"- يذهب إلى الملهى الليلي؛ لكي يتقرّب من "عصام"، فهو عن طريقه سيعرف كل شيء عن حياة "ماضي"، من الماضي حتى اليوم، وقد علم أنه ما زال يتابع أخبار "أمل"، رغم أنها تزوجت منذ زمن بعيد، ولكن ما زال حبها مسيطرًا عليه، وحاول مرارًا وتكرارًا أن يتخلص من هذا الحب، ولكنه كان يبوء بالفشل، وهذا ما جعله أكثر ضياعًا، وعن طريق الملهى والشراب نجح "عماد" في أن يتقرّب من "عصام"، ويعرف من خلاله أن "ماضي" كانت له علاقة قديمة بفتاة اسمها "شكرات"، لكن هذه الفتاة اختفت حينما انكشفت العلاقة التي بينهما، وأن عائلتها من الصعيد...

ويحكي له "عصام" القصة القديمة التي حدثت بين "ماضي" و "شكرات" أيام الشباب.

_ ممكن يكون أهل البنت دي اتخلصوا منها، وماحدش يعرف عنها حاجة لغاية دلوقتي، وماضي كمان عمل حادثة بعربيته من كام يوم ودخل المستشفى وفي حالة خطيرة، حتى أبوها وأخوها بعد ما دخلوا السجن آخر مرة بسبب اتهامهم في جريمة قتل وحرق مصنع الراوي رجل الأعمال المعروف.

* بتقـول مـين؟! الـراوي رجـل الأعمـال المعـروف؟! اللـي المصنع بتاعه اتحرق زمان؟! آه حلو قوي.

كـان رجـل الأعمـال المعـروف "محمـود الـراوي" صـاحب المصـنع هـو خـال "عمـاد"، وعـن طريـق المصـنع سـيتمكن "عماد من معرفة كل شئ عن عائلة "شكرات".

جرس شقة "شكرات" يرن، تفتح "شروق" الباب، إذ بها تتفاجأ بالدكتور "عمر":

_ أنا الدكتور عمر، زميل الدكتورة حنين في الكلية.

~ اتفضل يا دكتور عمر، اتفضل، يا أهلًا وسهلًا .

~ حزروا فزروا مين اللي جه عندنا هنا دلوقتي؟!

* مين يا شوشو؟ قولي بسرعة، مين؟!

~ الدكتور عمر.

لترد "حنين" و "شكرات" في نفس واحد:

= عمر؟!

~ أيوه يا حبيبتي موجود هنا، وقاعد في أوضة الصالون.

_ أنـا بنعتـذر جـدًا إنـي جيـت كـدا علـى طـول مـن غيـر ميعـاد سابق، ولكن قلقي على الدكتورة حنين ماخلّانيش نصبر لما نتطمّن عليها في التليفون.

ترد "شكرات":

- دا بيتك يا دكتور عمر، تشرف وتنور في أي وقت تحبه.

وتبتسم "حنين" ابتسامة فرح:

* اتفضل يا دكتور عمر استريح.

لتقول "شكرات":

طيب عن إذنكم أنا خمسة.

وتخرج من الغرفة، وهنا ينظر الدكتور "عمر" لـ "حنين"، وفي عينيه كلام كثير جدًا، ولكنه حائر، فمن أين يبدأ، وفي هذه اللحظة كان صوت دقات قلبه يعلو شيئًا فشيئًا، وتشعر "حنين" أن الدكتور "عمر" متوتر، لتبدأ الحديث:

* أخبار صحة بابا وماما إيه؟ والأستاذة لبنى؟

_ الحمد لله، همّا بخير، طمّنيني انتِ على صحتك، وصحة ماما واخواتك.

* الحمد لله.

_ ربنا يتمم لنا شفاء أونكل ماضي، ويقوم بألف مليون سلامة.

ومن هنا تفهم "حنين" أن الدكتور "عمر" يريد التحدث عن موضوع الخِطبة، ولكنه متردد، يخشى أن الوقت غير مناسب، أو أنه يفاجئها بأمر والدها؛ لأنها لم تتحدث عنه من قبل.

"شكرات" تدخل، وتعاود الترحيب والحفاوة بالدكتور "عمر"...

- أخبار الأسرة الكريمة إيه؟

_ الحمد لله بخير

- يارب دايمًا بخير وصحة وسعادة وفرح.

_ إن شاء الله، الفرح عن قريب، تسمحي لي أقول لحضرتك يا ماما؟

تنطق ضاحكة:

- دا شرف ليّا يا دكتور عمر.

_ ودا اللي هايخليني نتجرأ ونفتح الكلام قدام حضرتك يا ماما، أنا عارف الظروف كلها، ولولا إن أونكل ماضي في

المستشفى كنت جبت بابا وماما علشان نطلبوا إيد الدكتورة حنين، ولكن عارف الوقت مش مناسب، لكن إن شاء الله أونكل ماضي يقوم بالسلامة، وإن شاء الله بابا هو بنفسه اللي هايفاتحه في الموضوع، وإنه يشرفني ويشرفنا كلنا إنه يطلب منه إيد الدكتورة حنين.

"حنين" متفاجئة:

* انت فاجئتني يا دكتور عمر، أنا كنت فعلًا عايزة نتكلم معاك الأول في الموضوع دا، اللي استجد في حياتنا الأيام اللي فاتت، وحياتي أنا على وجه التحديد، وقلت لربما يكون لك وجهة نظر تانية.

_ مهما كان الموضوع، ومهما كانت الظروف اللي جدّت، مش هاتغيّر أي شيء بيننا يا دكتورة حنين، أنا عايز نقول لك قدام ماما إن بابا حكى لي كل شيء، واحنا كلنا منتظرين اللحظة اللي هتنضمي فيها لأسرتنا البسيطة، خدي بالك إن أي حاجة من هنا وجاي مش هاتفكّري فيها لوحدك؛ لأنها بقت خلاص تخصنا أنا وانتِ، وكمان بلاش كلمة دكتور ودكتورة اللي بنقولوها لبعض دي.

"شكرات" في سعادة:

- ربنا يسعدكم يا ولادي يا رب، ويقرّب فرحتكم، ويلمّ شمل القريب والبعيد، يا قادر يا كريم.

صحة "ماضي" تحسنت شيئًا فشيئًا، وبدأ يتنبه ويشعر بما يدور حوله، وحينما ينتبه يردد:

(حنين، حنين، حنين)، ثم يغيب مرة أخرى عن الوعي.

"ميرفت" زوجته في هذه اللحظة كانت متواجدة في الحجرة، فتسأله:

_ عامل ايه دلوقتي يا ماضي؟ وحاسس بإيه؟ أنا ميرفت، أنا ميرفت مراتك، أنا جنبك يا حبيبي.

يفيق مرة أخرى، ويردد: (حنين، حنين، حنين).

_ مين حنين دي يا ماضي؟ حبيبي انت سامعني؟ مين حنين دي؟

ويغيب عن الوعي مرة أخرى.

تقف "ميرفت" حائرة ويقتلها الشك، لماذا هذا الاسم بالتحديد الذي يتذكره ويردده؟! بالتأكيد هناك سر في حياة "ماضي"، و "حنين" هذه هي جزء من هذا السر.

هذه كانت أول زيارة يسمح فيها بالتواجد مع "ماضي" في نفس الحجرة المتواجد بها، "ميرفت" تخرج من الحجرة، وهي أمام باب الحجرة تتفاجأ بـ "شكرات" و "حنين" تدخلان إلى الحجرة، للاطمئنان على "ماضي"،

ومن هنا تبدأ المواجهة الحقيقية بين "ميرفت" -زوجة "ماضي"-، وبين "شكرات" -أم "حنين"...

_ ممكن أعرف الهانم تبقى مين؟ ومين الآنسة؟!

* احنا قرايب الأستاذ ماضي ، والأستاذ ماضي له جمايل كتير علينا ومغرّقانا.

_ وعرفتوا منين إنه عمل حادثة وموجود في المستشفى؟!

* إحنا لينا واحد قريبنا شغال هنا في المستشفى، وهو اللي بلّغنا أول ما عرف إن الأستاذ ماضي عمل حادثة، وجه هنا المستشفى؛ لأنه عارف الأستاذ ماضي من زمان قوي.

_ واحد قريبكم مين دا؟ نفترض إن ليكم واحد قريبكم هو اللي بلغكم وجيتوا اطمنتوا عليه ! إيه بقى حكاية الزيارات الكتيرة دي اللي كل يوم؟! تقريبًا دي تالت أو رابع مرة أعرف إنكم جيتوا هنا المستشفى.

* ودي فيها إيه يا هانم إننا نيجي هنا المستشفى؟!، دا حتى الناس الغُرب بيطمنوا على بعض، واحنا برضه مهما إن كان قرايب.

_ قرايب؟!

* آه قرايب.

_ منين دا بقى وأنا ما اعرفش؟! وبعدين أنا مش هانم، أنا المدام يا مدام، أتمنى إن الحكاية ما تطلعش أكتر من إنها قرايب يا مدام، بكرة إن شاء الله لما ماضي يقوم بالسلامة هو بقى إن شاء الله اللي يقول إيه حكاية القرايب دي!

"فؤاد" جالس في مكتبه في البيت، يقلّب في أدراج المكتب الذي يجلس عليه، وفجأة يعثر تحت يديه على العقد العرفي الخاص بـ "ماضي" و "شكرات"، الذي كتبه المحامي منذ زمن بعيد، ويتذكر تلك الأيام عندما وفر لهما مكانًا ليقيما فيه، قبل أن ترجع "شكرات" إلى بيت أهلها، لكن هذا العقد لم توقع فيه "شكرات"، ولكّن "ماضي" كان موقعًا على هذا العقد، والأحداث التي حدثت هي التي أنست "شكرات" قصة

العقد العرفي حينما أخذها عم "ماضي"؛ لكى يذهب بها إلى بيت أهلها، بعد أن انتهت الجلسة العرفية.

"صلاح الشوربجي" كان يتابع عن كثب أخبار "حسيب المنياوي" في قضية اتهامه بمقتل "رانيا الغرباوي" -زوجته الخائنة-؛ لكي يشفي غليله ويريح قلبه حينما تحكم المحكمة علي "حسيب المنياوي" بالإعدام، لكن عذاب الضمير لم يجعله يهدأ ويحقق ما يتمناه، بل بالعكس جعله أكثر همًا وتعبًا، وهذا ما جعله في الآونة الأخيرة يمر بوعكات صحية كثيرة، قد أصابته أزمة قلبية شديدة كادت أن تودي بحياته، وهذا ما جعله يعيد تفكيره في اتهام "حسيب المنياوي" بالقتل، رغم أنه يستحق العقاب الشديد لسوء خلقه؛ لأنه كان إنسانًا لا يتقي الله في دينه وعرضه، ولكن كان المهم عند "صلاح الشوربجي" أن يريح ضميره، فيحاول الاتصال بـ "نعيمة" -خالة بناته- أن تأتي إليه في شقته ومعها البنات للأهمية، رغم أنهن من بعد مقتل "رانيا"، كنّ دائمات الزيارات له.

بالفعل اتصل بـ "نعيمة"، وجاءت ومعها البنات، فانزعجن انزعاجًا شديدًا حينما وجدن والدهن في هذه الحالة المرضية

الشديدة، ولكنه طمأنهن بأن الأيام القادمة سيستريح، ولكن الأهم الآن هو أنه يريد أن يعترف لهن بما حدث، منذ التخطيط لقتل "رانيا"، وبالفعل حكى لهن كل شيء، فظلت البنات تبكي؛ لأنهن ليس لهن سند في الحياة غيره، رغم حنان خالتهن التي تولت تربيتهن، فهذا وحده لا يكفي في الحياة، ولا يغني عن وجود الأب.

"نوسة" تزور زوجها "حسيب المنياوي" في محبسه...

_ ليه عملت كدا؟

ليه مارجعتش عن الطريق اللي كنت ماشي فيه؟

انت مش كنت وعدتني؟

وإنك رجعت عن الطريق اللي كنت ماشي فيه دا؟

وإنك هاتشوف بيتك وبناتك وتتقي الله فينا؟

شُفت يا حسيب! شوفت مشيك البطّال ودّاك فين؟

شُفت آخرة الحرام إيه؟

* صدقيني أنا بريء من قتل المجني عليها، أنا فعلًا رُحت لرانيا الشقة، لكن لقيتها مقتولة، أنا لقيت باب شقتها موارب، ومسافة ما دخلت من باب الشقة لقيت الباب بيتقفل عليّا من

برّة، لكن أحلف لك بالله العظيم إني ماقتلتهاش، ودي نتيجة اللي يمشى ورا الحريم، سامحيني انتِ والأولاد، أنا بريء، أنا بريء، أنا بريء.

"عماد" -زوج "مديحة"- بعد أن علم كل شيء عن حياة "ماضي" و "شكرات"، لكن من أجل الظروف التي كانت تمر بها "زينات" -أم المرحوم "علاء"- احتفظ بالمعلومات مع نفسه.

الحاجة "عليّة" -أم المرحوم "حاتم"- تنادي على "شروق":

_ أنا عايزاكِ تتصلي بعمّاتك كلهم دلوقتي، وتخلّيهم ييجوا ضروري، وتقولي ليهم إن تيته تعبانه قوي.

* حالًا يا تيته هانتصل بيهم، بس طمّنيني يا تيته، نخلّي ماما تطلب دكتور العيلة حالًا.

_ لا خلّي ماما في اللي هي فيه، الله يكون في عونها.

أخوات المرحوم "حاتم" مجتمعات عند "زينات"؛ من أجل الذهاب إلى "شكرات" في البيت، ومواجهتها بالمعلومات التي جمعها "عماد" عن "ماضي" في االقاهرة، والذي يمتلك

أفخم محلات لبيع الملابس، والتي تقول عنه "شكرات" أنه أخوها، وأنه عائد من بلاد الغربة، وهذا يعني أن هناك سرًا كبيرًا، ولابد معرفته في أسرع وقت، فجأة.. يصدر هاتف "زينات" رنينًا، لتجيب:

_ أيوة..

مالها الحاجة عليّة؟ طيب اقفلي، احنا جايين في السكة.

توجهن جميعهن بسرعة إلى بيت "شكرات"، الذي تقيم فيه الحاجة "عليّة".

"حنين" تفتح لهن الباب، ويدخلن جميعهن -دونما كلام أو سلام- للحجرة المتواجدة بها الحاجة "عليّة" والدتهن؛ وذلك لأنهن بينهن وبين "شكرات" سوء تفاهم وغضب، لأنها لم تذهب إلى عزاء المرحوم "علاء" -ابن "زينات"-، حيث أنه كان في نفس التوقيت الذي وقع فيه الحادث الأليم لـ "ماضي"، ثم أن لديهن شك في وضع "ماضي"، والمرأة التي ظهرت بعد وفاة المرحوم "حاتم"، وقالت أنها والدتها، رغم أنهن كنّ على علم بعكس ذلك من أخيهم -رحمه الله-.

زينات تتحدث مع والدتها الحاجة "عليّة":

_ انتِ تعبانة قوي يا ماما، لازم نجيبولك الدكتور حالًا.

* اسمعي يا زينات، اسمعوا كلكم يا بنات، أخوكم المرحوم حاتم مش مرتاح في نومته وقلقان، أنا حاسّة بيه زي ما هو حاسس بينا كلنا.

~ مش مرتاح ليه يا ماما؟

أكيد فيه حاجة مش مظبوطة في بيته، ولازم هو مش راضي عنها، علشان كدا انتِ حاسّة بيه.

* لا يا مديحة مش كدا بالظبط!

أنا شُفته جاي لي في المنام، وكأنه عايز يعترف لي بحاجة، بس كان لسانه زي ما يكون مربوط، وبُقّه متخيّط في بعضه.

وهنا ترد "منى":

- ودا معناه إيه ياماما؟!

انتِ فهمتِ معنى الحلم؟! طيب تفسيره إيه؟

انتِ كنتِ بتفسري لنا كل أحلامنا كويس،

أكيد انتِ عارفة هو كان عايز يقول لك إيه!

* أيوه يا بنات، أنا فاهمة هو عايز يقول إيه، الموضوع دا خاص ببيته، خاص بشكرات على وجه التحديد، أنا بقالي يومين عمّالة بنفكّر وكأني بنتفرج على فيلم في التلفزيون، اقعدوا بقى كدا واسمعوني يا بنات قبل فوات الأوان، ماحدش عارف العمر فيه قد إيه.

_ اتكلمي يا أمي، احكي يا حاجة، احنا كلنا سامعينك.

* من يوم مادخل حاتم البيت وكانت معاه شكرات، وقال لي أنا يا أمي اتجوزت، لكن أنا دايمًا كنت بنشوفه لما البيت كله بيكون نايم وأكون أنا رايحة الحمام أو أي مكان في الشقة، أشوفه نايم لوحده في الصالة، رغم إنه بيدخل الأوضة، وأكيد كان بيستنى لما كل واحد فينا بيدخل أوضته علشان ينام كان بيعمل كدا، المهم كنت دايمًا بنشوفه نايم برّة أوضة النوم بتاعته هو وشكرات، وقعد على كدا فترة طويلة، لغاية ما شكرات ولدت بنتها حنين، برضه قعد فترة طويلة بينام لوحده، وكنت بنتحرج نقول له ليه بتنام لوحدك مش بتنام مع مراتك في أوضتكم؟! كان يقول لي كل مرة حجة شكل،

مرة يقول علشان نفضل متشوق لها على طول يا ماما، ومرة يقول لي علشان الحمل، ومرة يقول لي علشان النونه الصغيرة، ومرة، ومرة، فأنا قعدت نشوفه على الحال دا أكتر من سنتين.

_ ودا برضه معناه إيه يا ماما؟!

دا معناه يا بنات إن في التوقيت دا ماكانش حاتم وشكرات متجوزين، الوضع والتصرفات دي معناها بيقول كدا، إن دول مش شكل اتنين متجوزين أبدًا، وأنا عارفة قد إيه أخوكم كان بيخاف ربنا قوي.

البنات في نفس واحد:

= ده معناه كبير قوي يا حاجة.

"منى" تقول لها:

_ ودا هايخلّينا نجمّعوا كل الخيوط مع بعضها.

* خيوط؟! خيوط إيه دي؟! أنا مش فاهمة تقصدي إيه يا منى يا بنتي؟!

"مديحة":

~ انتِ ماعرفتيش يا ماما إنه ظهر ليها أخ الأيام اللي فاتت دي؟!

وكمان بتقول إنه لسّه راجع من برّة، مع العلم إن احنا شُفناه من كام شهر أنا وعماد جوزي في القاهرة، وعلى فكرة لو شُفتيه هاتلاقي حنين صورة طبق الأصل منه.

الحاجة "عليّة"، وهي تتألم بشدة:

* ودا عمره كام سنة؟ كبير ولا صغير؟

~ عمره حوالي ٤٨ سنة تقريبًا.

* وبتقولي إنه شبه حنين؟! ممكن مايكونش أخوها ياولاد، ويكون دا.. دا..

_ دا إيه ياحاجة؟ قولي ممكن يكون إيه؟

* أبووووووووو حنين...

وفي هذه اللحظة تلفظ الحاجة "عليّة" نفسها الأخير، والجميع في حالة ذهول ونحيب.

"شكرات" وأولادها يدخلون الغرفة، وكانت الحاجة "عليّة" قد ماتت، فتقول لهم "شكرات":

انتوا قولتوا لها إيه؟!

انتوا قولتوا لها إيه؟!

مش ممكن، مش معقول!

الحاجة عليّة ما ماتتش!

الحاجة عليّة زي الفل، دلوقتي تفوق وتبقى كويسة، أنا عمري ماهمّلت فيها أبدًا، أنا طول عمر عشرتي ليها، وهي كانت زي أمي.

"وتسقط مغشيًا عليها"

"صلاح الشوربجى" يطلب من بنتيه "هناء وشيرين" اللتين مكثتا معه في ظروف مرضه تحت إشراف خالتهما، التي تتردد عليهم من وقت لآخر؛ للاطمئنان عليهم، ومساعدتهم في أي شيء يحتاجون إليه، فما كان أمام "صلاح" الآن إلا الإصرار وبشدة على أن يترجى بنتيه بالإسراع في إبلاغ النيابة عنه بأنه هو الذي قام بقتل "رانيا" -زوجته-، وبالفعل قد قامت ابنته الكبرى "هناء"، ومعها خالتها بإبلاغ النيابة.

النيابة تصل إلى منزل "صلاح الشوربجي"؛ لاتخاذ اللازم، فوجدته في الرمق الأخير، فطلبوا الإسعاف لتأخذه لأقرب

مشفى، لتقوم بإسعافه حتى يستطيع أن يحكي لهم كيف قام بقتل المجني عليها، ويوقع على أقواله واعترافاته بخصوص مقتل زوجته "رانيا"، والتي حكمت المحكمة على "حسيب المنياوي" المتهم بقتلها بإحالة أوراقه إلى مفتي الديار المصرية،

فبمجرد أن شرح "صلاح" كيف تمت جريمة القتل ووقع على اعترافه، وارتاح ضميره، وطلب من بنتيه أن تسامحاه وتدعوَا له بالرحمة، ثم صعدت روحه إلى بارئها.

الأطباء في المشفى المتواجد بها "ماضي"، -بعد الإشاعات والفحوصات والتحليلات التي أجريت له خلال الأيام الماضية- يقررون إجراء عملية له في المخ في أسرع وقت ممكن؛ نتيجة الحادث التي تعرض له، فالحادث قد أثر تأثيرًا مباشرًا على المخ، ترتب عليه تأثير على الحركة والنظر، وقد قرر مجلس الأطباء بالمشفى أن الذي سيقوم بإجراء هذه العملية هو الدكتور "عمر فؤاد"؛ لأنه من الأطباء المتخصصين في إجراء هذا النوع من العمليات، وسيتم الاتصال به؛ لكي يتناقشوا معه في ظروف العملية، وقد رأى الدكتور "رأفت

عزيز" رئيس قسم الجراحة بالمشفى أن يستشيره في الأمر، فيقوم بالاتصال به:

_ مساء الخير يا دكتور عمر.

* مساء النور، مين؟

_ أنا الدكتور رأفت عزيز.

* أهلًا أهلًا يا دكتور رأفت.

_ أنا هاندخل في الموضوع علشان مانعطلكش عن محاضراتك، أنا وجميع الأطباء في المستشفى هنا، رشحناك بالإجماع إنك هاتقوم بإجراء جراحة دقيقة في المخ لمصاب في حادثة؛ لأنك أنت أفضل واحد دلوقتي يقدر يقوم بإجراء النوع دا من العمليات.

* العفو يا دكتور، اسم المريض دا إيه؟ وعنده كم سنة؟

_ اسمه ماضي، وعمره ٤٩ سنة.

* اسمه ماضي؟!

حضرتك يا دكتور رأفت أستاذنا، وحضرتك عملت العمليات اللي من النوع دا كتير.

_ بس في التوقيت دا، انت أمهر واحد دلوقتي يا دكتور عمر اللي يقدر يقوم بالنوعية دي من العمليات.

الدكتور "عمر" يقول ذلك؛ لأنه يعلم حساسية الموقف، وعلاقة المريض بالدكتورة "حنين"، وينهي معه المكالمة بالموافقة على إجراء العملية، واختيار من يقوم بمساعدته من الأطباء.

_ حنين إزيك.

* الحمدلله يا عمر بخير.

_ حنين المستشفى اختارتني أنا نعمل العملية لوالدك.

* بجد؟! ربنا معاك يا عمر.

_ وانتِ اللي هاتساعديني في العملية دي.

* معقولة إن أول عملية ليا نساعد فيها تكون عملية مهمة قوي وحساسة زي دي؟ ولمين؟ بابا؟!

_ انتِ ناسية إنك دكتورة؟ وكمان الأولى على دفعتك في البكالوريوس، ولولا حادث بابا كنت عملت ليكِ أكبر وأجمل حفلة، انتِ تعتبري إن شهادة البكالوريوس في إيدك معتمدة ومختومة كمان، ومن بكرة الصبح إن شاء الله، أنا قبل ما

نطلع على المستشفى علشان نتناقش مع الدكاترة اللي هناك على تفاصيل إجراء العملية هانعدّي على مجلس الكلية نخلص إجراءات استلام شهادة البكالوريوس بتاعتك، همّا خلاص اعتمدوها من أسبوع.

"حسيب المنياوي" يحلم بأنهم يأخذونه لتنفيذ حكم الإعدام...
_ بلاش تعدموني، مش عايز أموت، أنا خلاص تُبت توبة نصوحة، صدقوني أنا ما قتلتهاش أنا بريء والله العظيم، بريء،

حكمتك يارب، انت اللي عالم إني مظلوم، لكن أنا كنت باعصيك، وماكنتش باتّقيك، وأنا عرفت أخطائي كلها، وتُبت وندمت على كل حاجة غلط عملتها، يارب كلها لحظات وأقابل وجهك الكريم، إذا كنت قبلت توبتي طمّن قلبي يا غفار الذنب ويا قابل التوبة.

"عبد الله" -المحامي- الموّكل بالدفاع عن "حسيب المنياوي" يبلغ زوجته:

_ أيوه يا مدام نوسة، القاتل الحقيقي اعترف قبل ما يموت بإنه هو اللي ارتكب جريمة القتل، رغم إن كل الأدلة بتقول إن

مستحيل حسيب المنياوي كان يفلت من حبل المشنقة؛ لأن البوليس قبض عليه زي ما انتِ عارفة في مكان الجريمة، وإنه كان على علاقة بالقتيلة، ودا تم إثباته من خلال الأرقام اللي كانت موجودة على عدد التليفونات، ودا كمان اللي أكّده جوز القتيلة في التحقيقات.

* الحمد لله، ربنا عالم بينا، وعارف احنا كنا عايشين ازاي الأيام اللي فاتت دي.

_ الحمد لله، المهم إن شاء الله هي مسألة وقت، مجرد ما تخلص إجراءات الإفراج، وهايكون في البيت عندكم.

وتأتي البشارة في صباح اليوم التالي لـ "حسيب" في السجن، وكانت عن طريق "عبد الله" المحامي.

أم "ميرفت" ووالدها مقيمان في بيت ابنتهم "ميرفت"؛ لأن زوجها "ماضي" يجري عملية خطيرة في المخ خلال الثماني وأربعين ساعة القادمة، ومن الضروري أن يكونا معها في هذه الظروف؛ لأنها متوترة، والخوف من المجهول والهواجس تتناوب عليها.

_ أنا خايفة قوي يا ماما، خايفة من كل حاجة، خايفة لا قدر الله ماضي يجرى له أي حاجة، وأتفاجيء بحاجات ماكانتش على البال ولا على الخاطر.

* خلّيها على الله يا ميرفت، ربنا كبير يا بنتي.

_ وقادر على كل شيء يا ماما، أنا حاسة إن ماضي في حياته سر كبير، وأنا قلقانة منه.

* يا بنتي سلامة جوزك دلوقتي بالدنيا، وأي شيء تاني مهما يكون مش مهم، ادعي له ربنا ينجيه.

الحاج "خليل" يقول لها:

- يا بنتي جوزك دا مافيش زيه في الزمن دا، جوزك فعلًا عملة نادرة بجد، الشهادة لله، عمرنا ما شُفنا منه حاجة كدا ولا كدا، طول عمره راجل خدوم ومحترم، أنا يا بنتي بادعي له ليل نهار، وفي كل صلاة بادعي له إن ربنا ينجيه هو واللي زيه، وإن شاء الله ربنا هاينجيه.

أسرة الدكتور "عمر" خرجوا من الفيلا خاصتهم؛ لزيارة "حنين"، بعد معرفتهم بأن ابنهم هو من سيجري العملية،

وطلب الدكتورة "حنين" لمساعدته، ورغم أن والدته قالت لـه أن هذا شيء صعب جدّا على "حنين"، خصوصًـا أن المـريض هو والدها.

"شـكرات" تـدخل حجـرة الحاجـة "عليـة" -رحمهـا الله-، المتواجدة فيها ابنتها "حنين"، لتقول لها:

_ مامت الدكتور عمر بلغتني في التليفون يا حبيبتي إنهم جايين في الطريق؛علشان يطمّنوا عليكِ.

لكن في الواقع هذه الزيارة الغرض منها في المقام الأول هو رفع الروح المعنوية لدى الدكتورة "حنين".

"شكرات" دخلت إلى حجرة الحاجة "عليّة"، ورأت "حنين" تنظر لصورة الحاجة "عليّة"، وهي شاردة؛ لأنها كانت تتذكر أيام طفولتها، وكيف كانت الحاجة "عليّة" حنونة وعطوفة عليها بدرجة كبيرة...

_ إيه يا حنين؟ اقري لها الفاتحة يا حبيبتي، ربنا يرحمها ويصبرنا، أسرة الدكتور عمر جايين في الطريق.

* بتقولي إيه يا ماما؟ جايين دلوقتي؟!

_ أيوه يا حبيبتي، فيه حاجة؟! انتي مش مستعدة يا قلب ماما تقابليهم؟

* بصراحة يا ماما ما كنتش حابة أول مرة يزورونا فيها واحنا لابسين الأسود.

_ دا نصيب يا حبيبتي، إن شاء الله بابا ماضي يقوم بالسلامة، والدنيا كلها هاتبقى مبهجة.

* انتِ عرفتِ يا ماما إن بكرة الصبح بابا هايعمل عملية، واللي هايعملها هو الدكتور عمر، وأنا اللي هانساعده في إجراء العملية؟

_ إيه؟! بتقولي إيه يا حنين؟! بابا هايعمل عملية بكرة الصبح؟! وانتِ إيه!؟

* أنا اللي هانساعد الدكتور عمر بكرة الصبح إن شاء الله في إجراء العملية.

_ الصبح يا حنين؟! وماتقولوليش؟!

* يا ماما أنا خُفت عليكِ من القلق.

يرن جرس الشقة، تفتح "شروق" الباب، وتتفاجأ بعماتها الثلاثة أمام الباب:

"زينات – مديحة – منى"،

لتبدأ مديحة الكلام:

~ مامتك فين يا شروق؟

زينات:

- والله عال عال! بتعملوا إيه هنا في أوضة الحاجة عليّة؟ مش قلنا بعد العزا ما يخلص أوضة الحاجة عليّة ماتتفتحش؟

حنين:

* إيه يا طنط زينات؟ دي أوضة تيته -الله يرحمها-.

"مديحة" تهز رأسها:

~ تيته؟! اممم، اممم تيته.

"شكرات":

_ فيه إيه يا ست مديحة؟! مالك بتتريقي على حنين كدا ليه؟!

أيوه تيته، هي مش جدتها برضه؟!

فترد "مديحة" بمنتهى القسوة:

~ لا مش جدتها يا شكرات.

وتحكي لها كل التفاصيل التي عرفتها وأحسّتها أمهم -رحمها الله- عن ابنها، منذ أن جلب "شكرات" معه مدّعيًا أنه متزوج بها، وكل المعلومات التي جمعها "عماد" -زوجها-، لتفجر "زينات" القنبلة:

- احنا هانرفعوا عليكِ قضية في محكمة الأسرة، ننفي فيها نسب ولادك، حنين ومحمد وشروق لأخونا حاتم -الله يرحمه-

"شكرات"، وهي تكاد أن تسقط على الأرض مغشيًا عليها:

_ انتوا عايزين تتهموني بعد العمر دا كله معاكم يا ولاد الأصول بالزنا؟!

وتخرج الشقيقات الثلاثة من الحجرة، ومن الشقة كلها.

"حنين" تسقط على الأرض مغشيًا عليها، وعندما أفاقت لم ترَ أمامها إلا الدكتور "عمر" وأسرته، وهي تبكي:

* مش هانقدر يا دكتور عمر نكون جنبك الصبح في أوضة العمليات، أنا أعصابي تعبانة قوي، ومش تمام.

يهدّئها الدكتور "عمر"، ويصر على أنها ستكون معه وتساعده في إجراء العملية...

_ ما تشغليش بالك بأي شيء، مهما إن كان من أمور الدنيا، وماتفكريش غير بس إنك تهدّي أعصابك.

تنظر "لبنى" لأمها وأبيها، و "شروق" تلوح وتلمح لأمها وتبتسم، ويخرجون جميعًا من المكان؛ ليتركوا "عمر" مع "حنين".

"حنين" و"عمر" يتناقشان في أمور خاصة بينهم، وفي العملية التي ستجرى صباح باكر في المشفى.

"منال" -والدة الدكتور "عمر"- تطلب أن تتحدث مع "شكرات" على انفراد، وتدخلان حجرة النوم الخاصة بـ "شكرات".

_ واحنا طالعين على السلم قابلونا ٣ ستات، حسّينا منهم إن فيه سوء تفاهم بينكم؛ علشان سمعنا واحدة منهم بتقول

علينا: (ودول مين كمان؟! ماهى المشرحة ناقصة قُتَلَى)، الجملة شدّت انتباهي قوي، لكن لما شُفت حنين فى الحالة اللي كانت فيها دي، قلت فيه علاقة بين الستات دول وبين الحالة اللي كانت فيها حنين.

* دول أخوات المرحوم أبو محمد وشروق،

"وتقص لها كل الحوار الذي دار بينهن، وهو الذي أثر على نفسية حنين".

_ احنا كلنا معاكِ في أي شيء هاتحتاجيه، وكل مشكلة ولها حل، بس المهم عندنا كلنا دلوقتي هو ماضي إنه يقوم لنا بألف سلامة؟

الفصل الرابع عشر

(لمّ الشمل)

"أثنـاء إجـراء العمليـة الجراحيـة، ورغـم أن "ماضـي" تحـت تـأثير التخـدير، إلا أنـه يحـس بوجـود ابنتـه "حنـين" معـه، ويشعر بتفانيها في إنقاذه، كيف لا وهي ابنته الحبيبة وابنة حبيبته "شكرات"، حنين الماضي، وحب العمر، وهي حلقة الوصل في لمّ شمل الأحبة جميعًا".

(وقد يجمع الله الشتيتين بعدما

يظنان كل الظن أن لا تلاقيا)

"محمد" -شقيق الدكتورة "حنين"- يجلس مع "فؤاد" -والد الدكتور "عمر"- في الأنتريه، يتحدثان عن أعمالهما، وطبيعة الشركة التي يملكها "محمد"، والتي يديرها حاليًا صديق والده -المهندس "ثروت"-، ليبدأ "فؤاد" الحوار:

_ أنا نسمع عن جدك، كان اسم كبير في مجال المقاولات يا أستاذ محمد، وكان بالنسبة ليا علم، رغم إنه كان المنافس لوالدي -الله يرحمه-، لكن كانت منافسة شريفة؛ علشان كانوا ناس عندهم مباديء وأصول حتى في االتجارة، الحمد لله أنا برضه عملت اسم فى نفس المجال.

* أنا كمان سمعت من مدير الشركة بتاعتنا عن حضرتك، وقد ايه في مدة بسيطة كوّنت شركة كبيرة في القاهرة غير الشركة اللي عندنا هنا في اسكندرية، ما شاء الله.

_ أنا كمان حاسس بالحماس اللي جوّاك والطاقة الشبابية الكبيرة اللي كلها عزيمة وإصرار، لكن إن شاء الله لما نتعاونوا مع بعض هاتكتسب كمان خبرة، احنا مش هانكونوا غُرب عن بعض.

وهنا تدخل "لبنى"، قائلة لأبيها:

~ إيه يا سي بابا؟ حضرتك ما بتضيّعش وقت! حتى في الزيارات برضه لازم تتكلم فيها عن الشغل؟

_ الأستاذ محمد مابقاش غريب يا لبنى، ولازم نطمّن عليه وعن أعمال شركته، لو نقدر نقدم له أي خدمة.

في هذه اللحظة كان "محمد" ينظر تجاه "لبنى"، وهي أيضًا كانت تنظر له، فيقول "فؤاد"، وقد انتبه إلى النظرات المتبادلة:

_ شوفي ماما يا حبيبتي علشان هانمشوا.

* إيه ياعمو؟ احنا لازم نتغدوا مع بعض.

_ إن شاء الله يا حبيبي، نخلوا الغدا وقت تاني، لإني عندي مشوار ولازم نروحه دلوقتي.

أخوات المرحوم "حاتم" ذهبن إلى بيت "منى"، القريب من العمارة التي تقيم فيها "شكرات"؛ ليتحدثن عن الأمور الخاصة بـ "شكرات"، وكان متواجدًا معهم زوج "منى"، - "الدكتور فخري المستشار االقانوني"، ويشرح لهن بعضًا من مواد القانون الخاصة بالنسب، ويخبرهن أنه لا يوجد أي

دليـل علـى ادعـاءاتهم، وأن الأولاد للفـراش وأن الـزوج قـد تـوفي، ولـم ينـفِ أي شـيء، والأولاد جميعًـا مقيّـدون فـي شهادات ميلادهم باسم المرحوم، لتبدأ "مديحة" القول:

_ أنـا نفسـي مـن مـدة بسيطة شُـفت راجـل غريـب عنـدها فـي البيت، وحنين قالت لي دا خالي اللي كان مسافر في الخارج، كان عايش في فرنسا، مع العلم يا دكتور فخري إن أنا وعماد جوزي شُفناه من كام شهر في القاهرة، وكمان عماد جوزي جمـع المعلومـات اللـي تؤكـد إن كـان فيـه علاقـة بينـه وبـين شكرات زمان.

* العلاقة كانت زمان يا مديحة، قبل جوازها من أخوكم مش بعد، كل إنسان بيمر في حياته بعلاقة، أحيانًا ممكن تكتمل، وأحيانًا تنتهي لأي سبب من الأسباب، وما نقدروش نحكموا عليها من خلال شخص، لا بد يكون فيه شيء قطعي، زي مستندات أو أكتر من شاهد.

_ تمـام، بـس فيـه نـاس قالـت عليهـا زمـان إنهـا هربـت مـن أهلهـا، ونـاس تانيـة قالـت إن أهلهـا خـدوها الصـعيد وقتلوهـا هنـاك لمـا اكتشفوا العلاقـة اللـي كانـت بينهـا وبين اللـي اسمه ماضي دا.

* تمام، بس دا كله قبل جوازها من أخوكم، ممكن يكونوا في التوقيت دا كانوا متجوزين، وانتِ لسّه بتقولي الصعيد، يعني الصعايدة لهم عادات وتقاليد مختلفة.

_ ممكن تكون هي خرجت عنها يا دكتور فخري، لو افترضنا مثلًا إن حنين طلعت بنت راجل تاني غير حاتم أخويا -الله يرحمه-، ازاي تورث فيه؟! واحنا عارفين إن المرحوم وزع كل تركته وحاله وماله على حياة عينيه لشكرات وولادها، وكمان وِرث حنين بالذات عرفت إن هو الوحيد كان حريص إنه يتسجل في المحكمة.

* يجوز حنين كانت هي الوحيدة في التوقيت دا اللي كان معاها بطاقة، طالما حنين معاها أوراق موثقة في المحكمة صعب أي مخلوق يطعن فيها خلاص، وهنا كل الأوراق والشهادات الدراسية والمستندات بتقول إن حنين قانونًا بنت المرحوم حاتم أخوكم، حتى لو افترضنا أنها بالفعل مش بنته بالقانون بقت بنته رسمي، وأي كلام، وأي قضايا هي شوشرة على الفاضي لسمعة أخوكم.

اليوم هو موعد إجراء العملية الدقيقة لـ "ماضي"، الذي يقضي أسبوعه الثالث وهو في شبه غيبوبة، تتواجد أسرته بالكامل في المشفى ، وتوجد على وجه التحديد أخته "أمل"، فهي الأكثر متابعة لأسرته بعد وفاة الأم منذ عدة سنوات، فهي ترى "شكرات"، ولكنها اصطنعت عدم المعرفة بها؛ تحسبًا من حدوث أي تساؤل من قبل "ميرفت"، والأمر لا يحتمل في ظل هذه الظروف الصعبة، خاصة وهي ترى التوتر قد بلغ ذروته عند "ميرفت"؛ لأنها رأت "شكرات" تتحدث مع زوجة "فؤاد" -صديق ماضي االوحيد-، فأخوة "ماضي" يعرفونه.

طاقم التمريض في المشفى يقوم بالإعداد الجيد لهذه العملية، والممرضون يأخذون المريض على السرير المتحرك ويدخلون به إلى غرفة العمليات، ومن خلفهم الدكتور "عمر" والدكتورة "حنين" في الممر المؤدي لغرفة العمليات، ويقفان أمام باب حجرة العمليات...

_ أهم حاجة ماتفكريش في أي شيء غير في المريض وروحه اللي بين أيادي الله.

* يارب

_ أنا عارف إن الموقف حساس بالنسبة لك، ولكن ربنا أراد إنك تكوني معاه في اللحظات العصيبة دي.

ويدخلان معًا إلى غرفة العمليات، تمر الساعات والدقائق وكأنها دهر، والدعوات لا تفارق شفاه المتواجدين في الاستراحة التي أمام غرفة العمليات في انتظار خروج "ماضي".

بعد مضي تسع ساعات في غرفة العمليات يخرج "ماضي"، أما "حنين" فقد بلغ الإجهاد منها ذورته، وخاصة أنها أول عملية دقيقة وحساسة تساعد فيها، فما كان من الدكتور "عمر" إلا أن يأخذ بيدها ليوصلها إلى استراحة الأطباء، وفي هذه اللحظة وقعت عينا "ميرفت" عليهما وهما يخرجان من غرفة العمليات بعد خروج "ماضي" مباشرة، والتي تصادف وجودها أمام غرفة العمليات.

"فؤاد"، بعد دخول "ماضي" إلى غرفة الإفاقة، ذهب هو وزوجته للاطمئنان على "حنين"، ويسأل عن أخبار العملية من الدكتور "عمر"...

_ الحمد لله، ربنا أكرمنا، وان شاء الله العمليه ناجحة، والكل بذل أقصى جهد، ووجود حنين معايا كان فارق كتير، والحمد لله، فضله عظيم.

* الحمد لله يا ابني، ربنا يطمّنك، هو الحنان والمنان، الحمد لله والشكر لله.

"ميرفت" تطمئن على حالة "ماضي" من الممرضة:

_ من فضلك مين الدكاترة اللي عملوا العملية لماضي؟

* الدكتور عمر والدكتورة حنين

_ الدكتورة حنين؟!

الدكتور عمر؟!

* أيوه حضرتك، دا أشهر طبيب متخصص في إجراء النوع دا من العمليات، انتوا حظكم من السما.

_ ومين الدكتورة حنين؟

* دي دكتورة لسّه متخرجة جديد، والأولى على دفعتها السنة دي، وما شاء الله كانت عينيها في عينين الدكتور عمر ثانية

بثانيــة وإيــدها فــي إيــده، وفــي نفــس الوقــت عينيهــا علــى المريض، الله اكبر عليها شاطرة ما شاء الله.

_ ربنا يطمنك يا حبيبتي، أشكرك.

"منـى" -أخـت المرحـوم "حـاتم"-، تخاطـب أخواتهـا بعد كـلام زوجها الدكتور "فخري":

_ يا جماعة احنا عمرنا مـا شُفنا علـى شكرات حاجـة كدا ولا كـدا مـن يـوم مـا اتجـوزت أخـوكم، وماسـمعناش عنهـا مـرة خرجت من البيت إلا ورجلها على رجل أخوكم، وطول عمرها تحـت رجلينـا كلنـا، ومطيعـة لأبعد مـا كنـا نتصـوّر، هـو فيـه إنسانة في الزمن دا بالشكل دا؟ وطول عمر أخوكم حـاتم -الله يرحمه ويحسن إليه- بيقول فيها قصايد شعر، وقد إيه كانت شايلاه من على الأرض شيل، تقريبًا هي الوحيدة اللي كانت بتراعـي الحاجـة –الله يرحمهـا- أكتـر مـن أي واحـدة فينـا، وخصوصًـا السـنين الأخيـرة مـن عمرهـا، مـش معقولـة بعد العشرة دي كلها يكون هو دا جزاءها معانا!

الدكتور فخري يتدخل في الحوار مجددًا:

* ولو مش علشانها، يبقى علشان سمعة أخوكم -الله يرحمه- ، ماحدش عارف إيه السر اللي كان بينهم! وأخوكم كان راجل صاحب مبادىء ودمه حامي، يعني أكيد هو كان عارف كل كبيرة وصغيرة عن حياتها، ولازم تتعاملوا مع المتغيرات دي بمنتهى الهدوء والحكمة، وبكرة كل شىء هايتّضح، مافيش حاجة في الدنيا بتستخبى.

بعد إفاقة "ماضي"، وهو تحت تأثير التخدير، يلتفت حوله، يكاد يفتح عينيه، ويلتفّ الجميع حوله ناظرين إليه، ليتمتم في تعب وهو في شبه غيبوبة بأسماء أولاده، خاصة "حنين"، و "ميرفت" -زوجته-، و "شكرات"، لتبدأ "ميرفت" الحوار:

* مين شكرات؟؟

_ أنا شكرات

* وهو بينطق اسمك ليه يعني؟

_ أصل.....

لينقذ الموقف صديقه "فؤاد":

~ أنا هافهّمك يا مدام ميرفت الحوار كله، بس مش وقته.

* لأ وقته، واتفضل اتكلم.

~ شكرات كانت مرات ماضي من قبل ما يعرفك، وحنين دي تبقى بنته.

_ نعم؟! وازاي؟! وامتى؟! وازاي يخبي عليا كل دا؟!

ليرد "ماضي"، منهكًا:

- سامحيني يا ميرفت،
سامحيني يا شكرات،
سامحيني يا حنين.

"فؤاد" يرد، مشفقًا على "ماضي" من هذا الموقف:

~ مدام ميرفت، ماضي انكتب له عُمر جديد، وهو ماخانكيش، هو مارضيش يحكي ليكِ حاجة فاتت من سنين، وشكرات هو مافيش بينه وبينها أي حاجة غير بنتهم، وبنتهم دي يا ميرفت كانت من أسباب نجاح عملية ماضي، جوزك أبو عيالك.

ليرد الدكتور "عُمر" مُحدثًا "ماضي":

= انت طول عمرك صاحب ابويا وفي مقام عمي، فوق بالله عليك يا عمي؛ عشان أطلب منك ايد بنتك، أوعى تفتكر الظروف دي كلها بعدتني عنها، دي قربتني منها يا عمي والله، فوق يا عمي.

وما زال "ماضي" يتمتم بالكلمات، ليملأ الدمع جفنيّ "حنين" قائلة:

• من أول ما شُفتك وأنا حاسة إنك مش خالي، ولا هاتكون مجرد شخص عابر في حياتي، أنا كنت حاسة بإنك أبويا والله، يا رب ماتضيعهوش مني بعد ما لقيته.

ليسرع الإبن الأصغر لـ "ماضي" نحو السرير، في فزع:

~ بابا.. بابا.. بابا..

ماما، هو بابا مش هايقوم؟

هو واحشني وعايز أطمن عليه واتكلم معاه.

لتحتضنه "حنين":

• هايكون بخير يا حبيبي، أنا أختك حبيبتك، وهو هايكون بخير والله، اطمن يا حبيبي.

احتضان "حنين" لأخيها قد أثار تعاطف "ميرفت"، التي بدأت بالبكاء، وتضع إحدى يديها على كتف "حنين" واليد الأخرى على ابنها:

* اطمن يا حبيبي، بابا هايكون بخير، والبركة في اختك بعد ربنا، هايقوم لك بخير عشان يفرح بيكِ يا عروسة.

وتقبل رأس "حنين"

ليبدأ "ماضي" في استعادة وعيه، قائلًا:

- كلكوا هنا؟ وحواليا؟

أنا كان نفسي تتجمعوا في موقف أحسن من كدا

أنا... أنا... أنا...

ليرد الجميع في صوت واحد، وعلى وجوههم ابتسامة عريضة:

حمدًا لله على السلامة يا أبو العروسة.

"تمـــــــــت"

الفهـــــرس

مقدمة المؤلف : ٣

الفصل الأول : فلاش باك ٥

الفصل الثاني : توحيدة ٢٢

الفصل الثالث : سونيا ٣٧

الفصل الرابع : هروب شكرات ٥٩

الفصل الخامس : خطأ غير مقصود ٧٣

الفصل السادس : الحنين إلى الحب ٩٧

الفصل السابع : عريس لحنين ١٢١

الفصل الثامن : الكمين ١٣٩

الفصل التاسع : المراوغة ١٦٨

الفصل العاشر : هم المواجهة ١٨٠

الفصل الحادى عشر : التشكيك ٢٠٥

الفصل الثانى عشر : الحادثة ٢٢٧

الفصل الثالث عشر : زيارة مفاجئة ٢٥٦

الفصل الرابع عشر : لم الشمل ٢٩١